جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

جدلية المرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس للكاتبة سناء الشعلان

إعداد:

آمنة محمد عبد الجليل عليوي

إشراف:

د.عدوان نمر عدوان

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس-فلسطين.

٢٠٢٢م

جدلية المرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس للكاتبة سناء الشعلان

إعداد

آمنة محمد عبدالجليل عليوي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ / / ٢٠٢٢ وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:	**التوقيع:**
١. د. عدوان عدوان / مشرفاً ورئيساً	**.....**
٢. د. / ممتحناً داخلياً	**.....**
٣. د. / ممتحناً خارجياً	**.....**

الإهداء

إلى الروح التي فارقت الحياة ولم تفارقني إلى الحب الكبير

أبي الحبيب

إلى رمز العطاء ونبع الحنان إلى مهجة القلب ونور العين

أمي الحبيبة

إلى السند والعضد الذي لا يميل إخوتي

(منير، أشرف، عمرو)

إلى من وهبتهم لي الحياة أخوات

(خلود، مها، ياسمين)

أهدي هذا العمل

الشكر والتقدير

بداية أحمد الله عزوجل على هذا التوفيق والسداد

كما أتوجه بشكري الخالص إلى أستاذي الكبير الدكتور عدوان نمر عدوان
لما بذله معي من جهدٍ وما قام به في مساعدتي لإتمام هذا البحث

وأتقدم بخالص الشكر إلى المناقشين الدكتور

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الأطروحة التي تحمل العنوان:

جدلية المرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس للكاتبة سناء الشعلان

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الأطروحة أنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الأطروحة كاملة أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة او لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالبة: **student's name:**

التوقيع: **Signature:**

التاريخ: **Date:**

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الإقرار	ه
فهرس المحتويات	و
الملخص	ط
مقدمة	1
التمهيد	5
الفصل الأول:صورة المرأة في رواية السقوط في الشمس	13
أهمية الصورة الفنية في العمل الروائي	17
وظائف الصورة الفنية في العمل الروائي	19
أقسام الصورة الفنية	21
صورة المرأة التقليدية المحافظة	23
صورة المرأة العاملة والمناضلة	24
صورة المرأة المثقفة والواعية سياسيا	26
صورة المرأة السيئة	27
صورة المرأة المتمردة	30
صورة المرأة العاشقة	32
صورة المرأة الرمز في الروايات	34
صورة المرأة الأم	36
صورة المرأة الزوجة	38
صورة المرأة الفلسطينية	39
المرأة حسب التقسيم الجغرافي	41

صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس	45
خصوصية الكتابة عند المرأة	53
صورة الرجل في روايات النساء	55
صورة الرجل الأب	56
صورة الرجل الزوج	58
صورة الرجل الأخ	61
صورة الرجل الخائن	62
صورة الرجل المناضل	63
صورة الرجل المحب العاشق	65
صورة الرجل الشهواني	67
صورة الرجل الأسطورة	68
صورة الرجل الجبان	72
صورة الرجل المتدين	74
صورة الرجل والسلطة	76
صورة الرجل الفلاح	78
صورة الرجل الفقير	79
الانعكاس النفسي والسياسي والإجتماعي في رواية السقوط في الشمس	82
الإنعكاس النفسي	83
الإنعكاس النفسي في رواية السقوط في الشمس	85
البعد النفسي وأثره على الشخصيات	89
الإنعكاس السياسي في رواية السقوط في الشمس	94
الإنعكاس الاجتماعي في رواية السقوط في الشمس	99
الخاتمة	103
المصادر والمراجع	105
Abstract	a

جدلية المرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس

للكاتبة سناء الشعلان

إعداد

آمنة محمد عبد الجليل عليوي

إشراف

د.عدوان نمر عدوان

الملخص

تناولت الباحثة في هذه الدراسة جدلية المرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس للكاتبة سناء الشعلان، فالرواية جسدت لنا صوراً حية للواقع المعاش، وسلطت الضوء على صورة المرأة والرجل ومدى إنعكاس العامل النفسي والسياسي والإجتماعي عليهما، من خلال الوصف والتحليل لإظهار ما يميز الكاتبة عن الكاتبات الأخريات.

وقد جاءت الدراسة في تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، بينت الباحثة فيها أهمية الدراسةِ من كونها تتناول موضوع الجدلية بين المرأة والرجل والبحث في الفوارق بينهما مبينة أهم الأسئلة التي ستجيب عنها الدراسة، ثم توقفت الباحثة فيها على مفهوم الجدلية لغة واصطلاحا، ثم تتبعت أهمَّ المراحل التاريخية التي مرَّ بها المصطلح، والقضايا التي نوقِشَتْ في ظلاله.

أما الفصل الأول فقد تناولت فيه الباحثة صورة المرأة في رواية السقوط في الشمس و وضّحتْ فيه الكاتبة المقصود بصورة المرأة في الأدب، ثم توقفت فيه على الصورة التي رسمتها الكاتبة للمرأة في رواية "السقوط في الشمس" باعتبارها نموذجاً تطبيقياً للدراسة، وتتبع أهمِّ العناصر التي وظفَتهَا في رسم تلك الصورة من إحالات داخلية وخارجية وتناص بمختلف أنواعه، بما يُعينُ على معاينة تلك الصورة واستنباط أهمِّ ملامحها.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه الباحثة صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس وكيف صورت سناء الشعلان الرجل، وذلك بعد أن أُجَلي للقارئ المعنى الواقع خلف مصطلح صورة الرجل في الأدب، ثم محاولة إقامة مقارنة بين كلا الصورتين في الرواية: الأولى صورة المرأة والثانية صورة الرجل.

أمّا في الفصل الثالث فقد خصصته الباحثة للحديث عن الإنعكاس النفسي والسياسي والإجتماعي للمرأة والرجل في الرواية؛ إذ تتبعت فيه مدى إنعكاس العامل النفسي، والإجتماعي، والسياسي للكاتبة على أدبها.

وبعد ذلك ذيلت الدراسة بخاتمة أجملت فيها ما توصلتُ إليه من نتائج.

مقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي أعطاني العقل الذي أفكر به فأنار بصري وبصيرتي، والذي يسر لي أموري وطريقي، وأحمده سبحانه وتعالى على نعمه جميعا الظاهرة منها والباطنة، وأصلي على سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ أعظم الأنام وخاتم الأنبياء والمرسلين أمّا بعد:

إنني اليوم أطلب من الله العون والمساعدة حتى أستطيع أن أقدم دراسة متميزة حول الموضوع الذي أزمعت الكتابة فيه والخوض في غماره والذي يحمل عنوان: (جدلية المرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس) للكاتبة سناء الشعلان والسبب الذي دعاني للبحث في هذا العنوان أن قضية الجدلية بين المرأة والرجل قائمة على التمييز حسب وجهة نظر الكاتب، لكن الكاتبة في روايتها عرضت تمثلاتٍ للمرأة والرجل منها إيجابية ومنها سلبية دون تحيزٍ للمرأة وبذلك تميزت عن الروايات الأخرى.

تنبع أهمية الدراسة من كونها تتناول واحدةً من أهمِّ الموضوعات التي شغلت فكر العلماء في شتى مجالات المعرفة، وهو موضوع البحث في أهم الفوارق بين الرجل والمرأة، وقد كان للمرأة الأديبة نصيب من هذه الأعمال؛ إذ كتب في الموضوع غيرُ أديبة، إلا أن هذه الجهود هُمِشَت وأُهمِلَت مقارنة بالاهتمام الذي حظيت به كتابات الرجل الأديب، ودليل هذا الإجحاف هو ذلك المُسمى الذي قال به البعض حين سَمّى كتابات المرأة بالأدب النّسوي؛ وذلك من أجل تبخيس تلك الأعمال والتقليل من قيمتها الأدبية، وبالتالي فرض الوصاية الذكورية عليها؛ فالمرأة كما يرون أقلّ إبداعا من الرجل، وهذا كان سببا للتَّقليل من قيمتها وتهميشها في كثير من الدراسات؛ لكن إذا أردنا الإنصاف أنْ نترك العمل الأدبي يُقيّمُ نفسَه، لا أنْ يُقيَّمَ بناءً على جنس الكاتب .

لذا تقف هذه الدراسة أمام رواية تناولت موضوع جدلية المرأة والرجل من انتاج امرأة أديبة؛ إذ تتخذ هذه الدراسة من رواية (السقوط في الشمس) للروائية سناء الشعلان موضوعها، وهذا هو الجديد الذي تتناوله هذه الدراسة؛ حيث إن الدراسات التي تناولت هذه الرواية كانت

قليلة جدا؛ إذ لم أستطع أن أصل إلى دراسة كاملة أو رسالة علمية منشورة تناولت هذه الرواية، إلا بعض الدراسات المتواضعة التي تناوَلَتْها في تقرير أو مقالة؛وقد اطلعت عليها، كان منها:

١- صبرينة جعفر، السقوط في الشمس واعشقني لسناء الشعلان المغامرة الجمالية للنص الروائي السير ذاتي بين الإبداع والخصوصية.

https://daralkashkol.com/fourms/viewtopic.php?t=17658

تحدثت الباحثة عن الإبداع الروائي عند المرأة العربية، وسعت لإكتشاف العناصر الجمالية في الرواية النسوية وتحليل العتبات في الروايتين. .

٢- طاهر البربري، رواية السقوط في الشمس عبر الذاكرة المسكونة في الشتات.

يشير الكاتب في هذا المقال إلى الجانب الأسطوري و اللغة السردية في الرواية.

https://daralkashkol.com/fourms/viewtopic.php?t=17658

٣- حكمت النوايسة، رواية السقوط في الشمس لسناء الشعلان المرأة تصنع تمثالها الخالدة وتتعبدها.

https://daralkashkol.com/fourms/viewtopic.php?t=17658

في هذا المقال عرضت الكاتبة صورة للمرأة في العصور القديمة ثم في الوطن العربي و رسمت صورة مغايرةً للمرأة في رواية السقوط في الشمس عن الصور السابقة فالبطلة عاشقة، مثقفة، قوية، توظف قوتها لصنع عشقها الخاص..

٤- حسن عباس، تيار الوعي في رواية السقوط في الشمس للروائية الدكتورة سناء الشعلان.

https://daralkashkol.com/fourms/viewtopic.php?t=17658

في هذا المقال ينقد الكاتب عنوان الرواية ويوضح لنا جمال السرد في الرواية بالتحليل والوصف.

ولتحقيق تلك الغاية تحاول الدراسة أن تجيب عن التساؤلات الآتية:

- ما هي الصور التي ركزت عليها الكاتبة، وهل تشابهت مع صورة المرأة والرجل في روايات النساء؟

- كيف بدت ملامح شخصية الرجل في رواية سناء الشعلان، وهل كانت صورته موافقة للصورة العامة في الروايات النسائية أم كان لها ملامح مخالفة؟

- هل تأثرت الكاتبة بالأوضاع السياسية والإجتماعية والنفسية في الوطن العربي، وما أثر هذه الأوضاع على صورة المرأة والرجل في الرواية؟

- هل نهجت الكاتبة سناء الشعلان في روايتها أسلوب الروائيات أم كان لها أسلوبها الخاص؟

لكن لا يمكن أنْ أغضَّ الطَّرف عن جمال الموضوع وأهميته ولذة اللذين ساعداني في تخطي العقبات لإتمام الدراسة والبحث في موضوعها، واعتمدت في هذه الدراسة على منهج تحليل المضمون باعتباره الأكثر ملاءمة وانسجاما مع أهداف الدراسة.

وقد جاءت الدراسة في تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، فأمَّا التمهيد فقد توقفت فيه على مفهوم الجدلية لغة واصطلاحا، وكيف تجلى هذا الموضوع في كتابات العلماء بشكل عام والأدباء بشكل خاص، ثم تتبعت أهمَّ المراحل التاريخية التي مرَّ بها المصطلح، والقضايا التي نوقِشَتْ في ظلاله، والتي كانت تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، وهل تغيرت صورة المرأة والرجل باختلاف العصور؟ إذْ إنَّ جدلية المرأة والرجل تختلف مضامينها باختلاف العصور، والأديان، والجغرافيا؛ فهي مرتبطة بالثقافة، والفكر، والأيديولوجيا ارتباطا وثيقا، ثمَّ صورة المرأة والرجل في روايات كتبتها النساء واختلافها عنها في روايات كتبها رجال.

وجاء الفصل الأول بعنوان (صورة المرأة في رواية السقوط في الشمس)

وضّحتْ فيه الكاتبة المقصود بصورة المرأة في الأدب، ثم توقفت فيه على الصورة التي رسمتها الكاتبة للمرأة في رواية "السقوط في الشمس" باعتبارها نموذجا تطبيقيا للدراسة، وتتبع أهمِّ العناصر التي وظفَتهَا في رسم تلك الصورة من إحالات داخلية وخارجية وتناص بمختلف أنواعه، بما يُعينُ على معاينة تلك الصورة واستنباط أهمِّ ملامحها.

وتناول الفصل الثاني عنوان(صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس)

للحديث عن صورة الرجل في الرواية وكيف صورت سناء الشعلان الرجل، وذلك بعد أن أُجَلي للقارئ المعنى الواقع خلف مصطلح صورة الرجل في الأدب، ثم محاولة إقامة مقارنة بين كلا الصورتين في الرواية: الأولى صورة المرأة والثانية صورة الرجل.

أمّا في الفصل الثالث فقد تناولت (الإنعكاس النفسي والسياسي والاجتماعي في رواية السقوط في الشمس)

الانعكاس النفسي، والاجتماعي، والسياسي للمرأة والرجل في الرواية؛ إذ تتبعت فيه مدى انعكاس العامل النفسي، والاجتماعي، والسياسي للكاتبة على أدبها.

وبعد ذلك ذيلت الدراسة بخاتمة أجملت فيها ما توصلتُ إليه من نتائج.

وأخيرا أشكر ملهمي وأستاذي الفاضل الدكتور عدوان عدوان الذي كان لي موجها حريصا وناصحا أمينا؛ إذ لم يتوانَ لحظة في إرشادي وتوجيهي وتقديم وافر النصح لي، فجزاه الله عني خيرا وبارك في علمه وعمله .

والحمد لله رب العالمين

التمهيد:

تعدُّ قضية الجدلية القائمة بين الرجل المرأة قضية قديمة في تاريخ البشرية وقد شغلت حيزا في كتابات الفلاسفة والأدباء؛ وذلك لتناولها مختلف التناقضات بين الرجل والمرأة على مرِّ العصور، فمنذ أن خلق الله آدم حتى عصرنا هذا والتناقض بين الرجل والمرأة يُعدُّ من أبرز التناقضات التي يسير عليها قانون الكون.

فما هي الجدلية؟

الجدلية لغة

"ففي اللغة، نجد الجدلية مشتقة من الفعل الثلاثي الصحيح جَدَلَ، ومنه: جَدَلَهُ يَجْدُلُهُ ويَجْدِلُهُ؛ أي أحكم فتله، والجَدَل: اللَّددُ في الخصومة والقدرةُ عليها ومقابلة الحجة بالحجة والمجادلة :المناظرة والمخاصمة قال تعالى(وجادلهم بالتي هي أحسن)[1] وجَادَلَهُ: خاصمه، مجادلةً وجدالاً، والاسم الجَدَلُ هو شدة الخصومة.[2]

الجدلية اصطلاحا:

"الجدلية أو الديالكتيك في الفلسفة الكلاسيكية اليونانية هو الجدل أو المحاورة: تبادل الحجج والجدال بين طرفين دفاعا عن وجهة نظر معينة ويكون ذلك تحت لواء المنطق "[3]والجدل نوع من أنواع الكتابة النثرية، "وهو أحد أقسام النثر وأساليبه، وهو محمود ومذموم، فالمحمود يُقصد به الحق ويستعمل فيه الصدق، والمذموم هو الذي يقصد الباطل ويستعمل في طلب الرياء والسمعة"[4]ومن زاوية أخرى تأتي من الجدلية كلمة مجادلة في النقد المعاصر وهي: "تناضر بين اثنين أو أكثر وتتميز بطبع التضاد معتمدة في ذلك على تعارض المعايير القيمية أدبيا" [5]

---

[1] منظور، ابن: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ص٢١٢.
[2] محيي الدين عبد الحميد ومحمد السبكي، المختار من صحاح اللغة، ص ٧١.
[3] https: //ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%AF%D9%84%D9%8A%D8%A
[4] ينظر، مطلوب، أحمد: معجم مصطلحات النقد العربي القديم.مكتبة لبنان ٢٠٠١م، ص١٩٩.
[5] علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة عرض وتقديم وترجمة.بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٨٥م، ص٦٠.

أما من الناحية الفلسفية فيمكن تعريف الجدلية على أنها: "فن تقسيم الأشياء إلى أنواع وأصناف للتمكن من فحصها ومناقشتها"[١]ويعرفها ابن خلدون على أنها: "كتاب الجدل هو القياس المفيد في قطع المشاغب وإفحام الخصم وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات ويختص أيضا من جهة إفادته بهذا الغرض بشروط أخرى، وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس قياسه وفيه عكوس القضايا " [٢]

أمَّا الجرجاني فيعرفها بقوله: "الجدل هو القياس المؤلف من المشهورات والمُسَلَّمات والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان" [٣]

وقد استخدم سقراط مصطلح الجدل أو الدياليتيك بأول معانيه الحوار أو النقاش في محاولته تعريف المفاهيم الأخلاقية بصفة خاصة "[٤]

وقد نحا أفلاطون من الجدل منحىً آخر مخالفا لأستاذه سقراط الذي عبَّر عنه في صورته الذاتية من خلال صورته الظاهرة في التهكم وطرح الأسئلة، بيد أنَّ أفلاطون استخدمه في صورته الموضوعية، فجعل منه الطريق الأوسع للوصول إلى المعارف للرقي إلى عالم المُثل

أمَّا في النقد الأدبي المعاصر فقد تباينت تعريفات المصطلح وتعددت؛ نتيجة للاختلاف في استخدامه، لكن اتُفق على معناه الأساسي وهو الخلاف والتوتر وما ينتج عليه من جدال بين طرفين، ثمَّ طُوِّر المصطلح ليصير مرتبطا بطبيعة العلاقة المتناقضة بين الرجل والمرأة.

---

[١] لالاند، أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية مجلد ١، بيروت ٢٠٠٨م، صفحة ٢٧٢.
[٢] خلدون، ابن: تاريخ ابن خلدون، مجلد ١، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر ٢٠٠١م، ص٦٤٦.
[٣] الجرجاني ،علي: كتاب التعريفات، بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٣م، ص ١٣٧.
[٤] Tafahom.mara.gov.om >Pdf

يرى هيجل أنَّ الديالكتيك هو مبدأ الوجود الأساسي (الروح هي الوجود) وهو الشكل الذي تطوّر فيه الروح المطلق تاريخياً فينتقل في الاندماج بالوجود إلى التحقق الكامل، أما بالنسبة لماركس فإن الديالكتيك هو حركة المادة ذاتها وليس حركة الروح.

وهذه المادّة تتحرك وفقاً لقانون وحدة وصراع الأضداد، وهذه الحركة تؤدي إلى تجاوز الحالة الأولى إلى حالة أرقى للمادة، ويؤدي الصراع الطبقي في المجتمع، كما في المادة (وهو صراع الأضداد) إلى تجاوز التشكيلة الاجتماعية السابقة إلى تشكيلة أرقى"[1]

وعند لينين، "إنَّ الديالكتيك بمعناه الاعتيادي هو دراسة التناقضات في جوهر الأشياء بالذات"[2]

بناءً على ما سبق يمكن أن نُعرِّفَ الجدلية على أنَّها: الجدل أو المجادلة والمناقشة الناتجة عن التناقض والاختلاف بين طرفين، وهوعلم القوانين التي تحكم الطبيعة، والمجتمع، والفكر ويعالج كل المتناقضات في الكون، وفي النقد الأدبي استعمل المصطلح في مناقشة قضايا الاختلاف بين الرجل والمرأة.

لقد كانت الجدلية القائمة بين الرجل والمرأة حاضرة في مختلف العصور تدور في فلك مكانة الرجل والمرأة واختلافها باختلاف المجتمعات والحضارات الإنسانية، وقد تميز كل عصر منها بخصائص مختلفة انعكست على سمات الجدلية فيه، وذلك منذ العصر الأزلي القديم حتى العصر الحديث، ففي العصر الأزلي القديم كانت السيطرة فيه للمرأة؛ إذ كانت وصية على الرجل وتحتل القوامة بدلا منه، وهو ما أُطلق عليه حديثا بالمجتمع الأمومي، ومردُّ ذلك إلى بعض المعتقدات والأساطير التي كانوا يؤمنون بها حول قداسة المرأة وخصوبتها؛ إذ كانت تمثل عندهم رمزا للخصب والنماء، "لذلك أسلم الرجل قياده للمرأة لا لتوفقها الجسدي بل لتقدير أصيل وعميق

[1] ذبيان، سامي وآخرون: قاموس المصطلحات السياسية، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، لندن، ١٩٩٠ ص ٤٣٢.
[2] لينين: دفاتر فلسفية، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة للطباعة والنشر، مجلد١.

لخصائصها الإنسانية وقواها الروحية وقدراتها الخالقة وإيقاع جسدها المتوافق مع إيقاع الطبيعة [1]"

وبالنظر إلى شكل العائلة الأمومية ونمط العلاقة الجنسية في ذلك العصر نستنتج أنَّ المرأة كانت حرة في اختيارها دون ضوابط أو قيود، ففي هذه المرحلة كان للمرأة دور في نقل الإنسان من الصيد إلى الزراعة وإنتاج الغذاء، بينما اكتفى الرجل بالصيد فقط، وفي هذا العصر كانت المرأة حرة في فصل الزواج متى شاءت ويعود الأولاد للأم ولا شيء للزوج أبدا، إذ كان الأولاد ينسبون إلى الأم التي تحظى بالوصاية عليهم.

وكان الأمر كذلك عند الفراعنة؛ إذ لم يكن حظ المرأة في حضارتهم أقلّ نصيبا من حيث الاحترام والقداسة، وكان الأطفال ينسبون إلى أمهاتهم، كما كانت تملك القوامة على الرجل ويحق لها أن ترث وتملك وهي حرة في اختيارها دون قيد أو شرط، وكان الرجل يتعهد لها بالطاعة والرعاية في عقد الزواج، إضافة إلى ذلك سمحوا لها بالحكم والرئاسة "، وقد دلَّت النصوص التاريخية القديمة واللوحات المكتشفة نتيجة الحفريات التي أُجريت في مصر على أنَّ المرأة الفرعونية كانت تتمتع بحريتها الكاملة فتخرج من منزلها من دون رقيب، تتجول وتتنزه وتزور من تشاء من الناس دون أن يعترض سبيلها أيّ معترض من اقربائها أو أوليائها وتتجول بين الأزقة والشوارع سافرة الوجه وتسهم في نصيب وافر من الحياة الاجتماعية"[2]

أمّا عند الإغريق فنجد الأمر مختلفاً تماما؛ إذ كانت المرأة عندهم محتقرة مهانة فهي كما يعتقدون شجرة مسمومة تحمل لهم الشر، وكانوا يعتقدون أنها نتاج أعمال الشيطان ومَكرِهِ بالإنسان، وكانوا يعتقدون أن المرأة وجدت فقط للمتعة أو الإنجاب أو الخدمة والرعاية، وهو اعتقاد العامة والخاصة حتى الفلاسفة منهم، يقول في ذلك سقراط: "إنّ وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والإنهيار في العالم، إنَّ المرأة تشبه شجرة مسمومة حيث يكون

[1] السواح، فراس: لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، سورية: دار علاء الدين، ص٣٢.
[2] كيال، باسمة: تطور المرأة عبر التاريخ، دار عزالدين ١٩٨١م، ص٤٠.

ظاهرها جميلا ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالا"[1] لم تختلف معالم تلك الصورة عند اليونان كثيرا؛ إذ كانوا يرونها مُلكا للرجل وواحدة من السلع الرخيصة، وهي شرٌّ لا بد من اجتنابه والحذر منه، ثمّ زادوا على ذلك أن منعوها الكلام، وفي سبيل ذلك "حكموا عليها أن تضع على فمها قفلا كانوا يسمونه "الموزلير" فكانت النساء جميعها من أعالي الأُسر وأدناها تسير في الطرقات وفي فمها قفل"[2]

وقد أضاف الفرس على معالم تلك الصورة شيئا من المهانة حينما " أباحوا لأنفسهم الزواج من الامهات، والبنات، والاخوات، والخالات، والعمات، وبنات الأخ والأخت، حتى أنّ يزدجر الثاني الذي حكم أواسط القرن الخامس قد تزوج ابنته ثم قتلها، وبهرام جوبين الذي تملك القرن السادس كان متزوجا من أخته"[3]

إنَّ المتأمل طبيعة الجدلية التي كانت قائمة بين الرجل والمرأة والتناقض الكبير الذي قامت عليه، ثمّ يتأمل تباين تلك التناقضات من عصر لأخر، يجد أنّ مَرَد ذلك راجع إلى المعتقدات الدينية، فبين معتقد ومعتقد كانت الجدلية تتسم بسمات تميزها من غيرها في كل عصر، وما يؤكد ذلك اختلاف تلك السمات باختلاف الديانات السماوية الثلاث، فالمرأة عند اليهود لعنة وشيطانة؛ إذ أغوت آدم وأهبطته الأرض، وهي رجسٌ ونجسٌ لابد من اجتنابه فعندما تحيض لا يجالسها الرجل ولا يُآكلها ولا تلمس وعاءً حتى لا ينجس بل يجعل بينهما مسافة خلال النوم.

وهي في بعض معتقدات النصارى شر كبير ومصدر للآثام والمعاصي وأساس الغواية والفجور بل هي باب من أبواب جهنم تدفع الرجل إلى الولوج فيه.

---

[1] المقدم، أحمد: عودة الحجاب، مصر: دار طيبة للنشر ٢٠٠٦م، ص٤٧.
[2] الطرازي، مبشر: المرأة وحقوقها في الإسلام، بيروت: دار الكتب العلمية ص١٠.
[3] الندوي، أبو الحسن: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، المنصورة: مكتبة الإيمان، ص٤١.

جدلية الرجل والمرأة في الجاهلية وصدر الإسلام:

كان للمعتقدات الدينية التي ورثها العرب في الجاهلية عن الحضارات القديمة أثرٌ بارزٌ في نظرتهم إلى المرأة وتعاملهم معها، فكانت جدلية قائمة على احتقار المرأة والتقليل من شأنها، فهي علامة عار يجب التخلص منها، فوجدوا السبيل إلى ذلك في وأدها من خلال دفنها في التراب حية، ليتخلصوا من ذلك العار الذي يمكن أن يرافقهم طوال حياتهم، أمّا الرجل فقد كان هو السيد صاحب الرأي والوصاية يتزوج ممن يشاء ويفارق من يشاء، حتى إذا مات كانت زوجته جزءا من تركته التي تقسَّمُ على أقربائه الرجال، وكان الإبقاء عليها فقط بهدف المتعة والإنجاب، وقد ورد في كتاب تاريخ الجنس العربي" إن التشبيب بالنساء وملاحقتهن كان من أمارات الرجولة عند الجاهليين"[1]

لكن في المقابل من ذلك كان هناك ملمح آخر للجدلية بين الرجل والمرأة في الجاهلية، فقد كان البعض يحترم المرأة ويكرمها، بل يبذل جهدا في الوصول إليها والفوز بحبها ورضاها، فكتب الشعراء الفحول في وصف المرأة والتغزل بها قصائد رائعة، "فها هو امرؤ القيس يبدي شغفه بابنة عمه ويلاحقها ويتسلل إلى مقدمة هودجها ويدخل رأسه بالهودج يقبلها ويحادثها"[2] وقد أثمر ذلك الحب عن قصيدة رائعة حجزت مكانا لها بين المعلقات السبعة المشهورة، ومن الشعراء الذي تغزلوا بالمرأة في قصائدهم في الجاهلية النابغة، وعنترة، وعروة بن حزام، إلا أنّ المرأة كانت مقيدة في التعبير عن مشاعرها في مقابل الرجل الذي كان يتباهى بحبه للنساء.

لكن في عصر صدر الإسلام اختلفت الصورة كليا؛ حين تشكلت معالم جديدة للجدلية بين الرجل والمرأة لم يشهد مثلها عصر من العصور؛ إذ أُنصفت المرأة وَرُدَّت عليها حقوقها، فَحَرَّم الإسلامُ الوأد، وجعل للمرأة حقوقا كما الرجل وألغى أنواع الزواج التي تظلم المرأة لصالح الرجل، وجعل لها مهرا للزواج وحظا وافرا من الميراث، كما جعل للأم مكانة عالية رفيعة؛ إذ

---

[1] دروزة، محمد: تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، ج ٥، بيروت: د.ط ١٩٦١م، ص٢٨٣.

[2] بيهم، محمد جميل: المرأة في التاريخ والشرائع، بيروت ١٩٢١، ص١٢٤.

أوصى برعايتها أكثر من الأب، وأقرَّ لها حقّ التملك والبيع والشراء، كما سمح لها المشاركة في مختلف أنشطة الحياة، فكانت ملامح الجدلية وقتئذ قائمة على التفاهم والرضى بين النقيضين الرجل والمرأة، وذلك يحيلنا إلى نتيجة مهمة وهي أنّ الجدلية رغم كمِّ التباعد والتناقض بين طرفيها إلّا أنّها تتقارب وتتباعد وفقا للمنهج الذي يحكم العلاقة بين الرجل والمرأة ويضبطها.

لكن ما برحت تلك المثالية التي عرفتها الجدلية في عصر صدر الإسلام طويلا حتى عادت إلى سابق عهدها أو قريب منه ليدخل إليها التناقض والتنافر من أوسع أبوابها، وقد كان للعادات والتقاليد وما أسهمت فيه من تسييد مصطلح العيب الذي كان سببا في حرمان المرأة من مختلف حقوقها بما فيها التعليم السهمة الكبرى في ذلك، لكن في العصر الحديث وما شهده من تغيرات وثورات علمية مكَّنَت المرأة من المشاركة في مختلف مجالات الحياة وأنشطتها، فكان لها نصيب في الطب والفلسفة والفيزياء والفنون والأدب وغير ذلك، وانتقلت فيه نقلة نوعية حين أصبحت مؤثرة في مختلف المجالات، فبعد أن كانت مشاركتها تقتصر على بعض النواحي المتعلقة بالعائلة الصغيرة والمجتمع الضيق، أصبحت تقف جنبا إلى جنب مع الرجل وتوازيه في مجالات الحياة كافة.

ومن أبرز تلك الأنشطة كان الأدب الذي كتبت فيه عن الجدلية بينها وبين الرجل، فكان هناك الأديبات اللواتي يكتبن في الشعر، والنقد، والرواية، والقصة، والمسرحية، وغيرها من مختلف فنون الأدب، وأبرز ما برعت فيه المرأة كانت الرواية، التي وجدت فيها وسيلة للتعبير عن ذاتها وسبيلا في الوصول إلى غاياتها والمطالبة بحقوقها التي تعتقد أن المجتمع قد سلبها منها، فظهرت الروايات التي تتناول موضوع الجدلية بين الرجل والمرأة والتي تعالج قضية التنافر والتضاد بينهما؛ فهي تتناول صورة الرجل في المجتمع الذكوري كما تراه تناولا دقيقا في مقابل صورة المرأة مسلوبة الحقوق، "فبعد مطالعة عدد من روايات النساء يلاحظ للوهلة الأولى أنه مقابل تلك الصورة السلبية للرجل حاولت معظم الروايات النسائية تقديم المرأة العربية بصورة إيجابية: متفانية في أداء واجبها مخلصة بريئة قليلة التجربة جنسيا، وأنَّ الرجل هو من يلوثها ويطلعها

عوالم الجنس وأنّها في الغالب فاشلة في مسايرة رغباته الجامحة والشاذة وإن فعلت فمكرهة ومجبرة، وأنها ضحية سلطة الرجل وجبروته"[1]

ومن أبرز تلك الروائيات كانت الروائية العربية سناء الشعلان وروايتها السقوط في الشمس التي تناولت فيها موضوع الجدلية بشكل لافت، وقد اخترت هذه الرواية موضوعا للبحث والدراسة أتوقف فيها عند معالم تلك الجدلية وأهمّ سماتها.

[1] الداديسي، الكبير: صورة المرأة العربية بعيون الرويائيات المعاصرات https: //m.ahewar.org/s.asp?aid=483209&r=o

الفصل الأول

صورة المرأة في رواية السقوط في الشمس

الفصل الأول:

صورة المرأة في رواية السقوط في الشمس

تعدُّ المرأة ركيزة أساسية من ركائز المجتمع؛ لما لها من أدوار مهمة تؤديها توزعت على مجالات الحياة كافة، وقد تركت من خلالها أثراً في كل زاوية من زوايا المجتمع، فهي الأم والأخت والزوجة والحبيبة، فلم يكن دورها دون دور الرجل في المجتمع بل العكس من ذلك تماما إذ لها الأثر الأكبر في المجتمع وفي الرجل نفسه، فقد كان لها الأثر على العقول والقلوب وتركت بصماتها على المجالات كافة.

لقد كانت قضية المرأة في الأدب من أهم المواضيع التي أثارت جدلاً واسعا، وقد تعددت آراء الفلاسفة والمفكرين فيها وانقسمت إلى غير رأي فهم في ذلك يختلفون؛ فمنهم من ساوى بين الرجل والمرأة ودافع عن حقوق المرأة وأقرَّ بالشراكة بينهما في الحياة، ومنهم من قَصَرَ دور المرأة على البيت والإنجاب، وعلى الرغم من هذا الرأي وقَصرِ دور المرأة على المنزل والعائلة إلا أنّ الأدب قد أثبت العكس، إذ كان لها حضور في الشعر والأدب والنثر، فقد حفلت القصائد الغزلية وقصائد الحب العذري بالكثير من الصور التي تظهر العديد من الجوانب الشكلية والروحية للمرأة، كما نجد حضورا جيدا للمرأة في المسرح والفن فهي لوحة تفنن فيها الرسامون وقصة أبدعتها الدراما المسرحية، ومن أهم النواحي الأدبية التي ظهرت فيها المرأة بقوة وأثبتت وجودها وحضورها كانت الرواية، فقل وندر أن نجد رواية لا يوجد حضور للمرأة فيها، فالمرأة لها حضورها القوي في جميع الروايات سواءً أكانت من كتابات الرجال أو النساء، يعبر من خلالها الأديب عن همومه وواقعه وتخيلاته، أو يستخدمها في روايته للدلالة الرمزية التي يدلل من خلالها على معانٍ ودلالاتٍ عدةٍ، إذ نجد المرأة تظهر في الرواية إما بطلة تحتل الشخصية الرئيسة في الرواية وتدور حولها أحداث الرواية، أو شخصية ثانوية تسهم في الوقوف إلى جانب البطل ويكون لها أثر في رسم الأحداث، فلا نجد عملاً روائياً يخلو من وجود المرأة فيه فهي ركيزة مهمة في السرد الروائي، ووجودها في

العمل الروائي يعالج الكثير من قضايا المجتمع، فسردت عن تصوراتها وخيالاتها[1] فالسارد في الرواية يسقط العديد من الانعكاسات الاجتماعية والنفسية على شخصية المرأة، ويلفت القارئ من خلالها إلى العادات والتقاليد والأفكار التي يحملها المجتمع العربي سواء أكانت أفكاراً متحررة أم متشددة.

وقبل أن ندرس أنماط صورة المرأة ونعرِّفها، لا بد من الوقوف على مفهوم الصورة، والأسس التي اعتمد عليها الأدباء في تقسيمها، فالصورة كما جاءت في لسان العرب هي "(لغتهم)على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة كذا وكذا أي صفته"[2]

ولا بد لنا أن نفرِّق بين مصطلحين يعملان على تشكيل الصورة وهما التصوير والتصور، فالتصور قائم على الخيال وعلى شيء غير محسوس يجول داخل العقل، والتصوير هو الشكل الذي جسده الأديب أو الفنان لما جال في خياله وفكره، فأخرج لنا من أفكاره وخياله عملاً فنياً أبدع في تصويره في الشعر أو الرواية أو الفن، فكل هذه المجالات يبرز فيها مصطلح التصور والتصوير، "أما التصوير فهو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني، فالتصور إذا عقلي أما التصوير شكلي"[3]

وقد تحدث القدامى عن الصورة ومفهومها في كتاباتهم، فالصورة عند الجرجاني "حال الصائغ ينظر إلى صورة قد عملها صائغ من ذهب له أو فضة فيجيء بمثلها من ذهبه أو فضته. وذلك يخرج بمرتكب، إن ارتكبه، إلى أن يكون الراوي مستحقا لأن يوصف بأنه (استعار) و (شبه)، وأن يجعل كالشاعر في كل ما يكون به ناظما، فيقال: إنه جعل هذا فاعلاً،

[1] عدوان، نمر عدوان: تقنيات النص السردي في أعمال جبرا إبراهيم جبرا الروائية، رسالة ماجستير، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠١م، ص١٣٥.
[2] ابن منظور: لسان العرب، إيران: أدب الحوزة، المجلد ٤، ص ٤٧٣.
[3] الحوماني: الصورة والتصور والتصوير، مجلة الرسالة، عدد ٦٤.

وذاك صفة، وأن يقال: (نفى كذا) و (أثبت كذا)، و(أبدل كذا من كذا). "[1]فالصورة الفنية كان لها حيز في كتابات القدامى، وقد أولوها أهمية كبيرة خصوصاً في الشعر.

أما تعريف الصورة عند النقاد في العصر الحديث، فقد اختلف وانقسمت الصورة إلى أكثر من معنى حسب الفن الذي توظف فيه، فهناك صورة بلاغية، و أدبية، و فنية "وذلك بحسب الفن الذي قيلت فيه، والنوع الأدبي الذي نميت إليه فهي شعرية إن كانت في الشعر لا في النثر، وأدبية إن أُريد التعميم وعدم تخصيص الشعر، وهي بلاغية أو بيانية إن كانت تقوم على فنون البيان البلاغية، وهي فنية إن أُريد اعتمادها على فنون البلاغة وطاقات اللغة الأخرى"[2]وقد تعددت تعريفات الصورة في العصر الحديث، فكل أديب وناقد عرفها بطريقة مختلفة يعبر فيها عن اعتقاده ورأيه ومجال دراسته؛ فهناك من رأى أن الصورة منظر حسي أو مشهد خيالي، ومنهم من عرَّفها على أنها أحاسيس ومشاعر، ومنهم من عرَّفها تعريفاً علمياً فهي عنده قائمة على "وظيفتين أساسيتين فإنها تتميز بخاصتين كبيرتين الأولى أنها صورة شكلية والثانية أنها صورة وصفية "[3] فتنوعت التعريفات والنقاشات حول مصطلح الصورة في العصر الحديث، وقد كتب النقاد والأدباء عنها كتباً وحددوا عناصر أساسية تعمل على خلق صورة فنية؛ فهناك عناصر حسية وجدانية تخوض في أعماق الذات وتصور مشاعر وخيالات وأحلام، وعناصر شكلية قائمة على المحسنات البلاغية وعلى النص الإبداعي للكاتب، ويمكننا القول إنَّ الصورة عبارة عن عناصر شكلية يستخدم الأديب في تشكيلها عناصر البلاغة والمحسنات كافة بهدف إيصال القارئ إلى فكرة أو شعور يتجسد من خلال الصورة.

---

[1] الجرجاني ، عبد القاهر: دلائل الإعجاز ،تحقيق محمود أبو فهر، مكتبة الخانجي ،ص٣٥٩-٣٦٠.

[2] الغنيم ، ابراهيم: الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، الشركة العربية للنشر،ص١٨.

[3] اليافي ، نعيم: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، سوريا: صفحات للدراسات والنشر ٢٠٠٨ ،ص٢٢.

أهمية الصورة الفنية في العمل الروائي:

تعد الصورة الفنية عنصرا مهما وأساسيا في الأدب؛ فهي من أهم التقنيات التي تعمل على نقل أفكار الكاتب ومشاعره، كما تعمل على إيصال المعنى بطريقة مؤثرة تقنع القارئ وتجعل منه شريكا في كتابة النص، فهي تدغدغ مشاعر القارئ وتجعله يتفاعل مع هذه الفكرة أو هذا الفيض من المشاعر ويمكننا القول إن الصورة " زينة أو حلية خارجية أو أية وسيلة مادية يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه وسامعيه "[1]وما يميز الصورة من غيرها من طرق التعبير، ويجعلها أكثر أهمية من كونها تجعل النص الروائي ممتعاً يتميز فيه مدى إبداع السارد وجعل الحدث دراميا ولوحة فنية نابضة بالحياة، فتتحول السطور والكلمات إلى فيض من المشاعر أو إلى حق إنساني أو إلى رمز وأسطورة.

وتنبع أهمية الصورة من " الطريقة التي تفرض بها علينا نوعا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى، ونتأثر به "[2]فالكاتب لا يغير المعنى لكن يجعله أكثر جمالاً وايقاعاً في نفس القارئ وأكثر أثراً وتجلياً في نفسه، وتكمن أهمية الصورة من جانب آخر هو أن "الصورة متعلقة باللاشعور أو بآلية الحلم الطليقة التي لا يتحكم فيها المنطق أو العقل، وهي بذلك تكشف عن المعاني العميقة ومكنون النفس "[3]

ويرى النقادُ المحدثون أن أهمية الصورة الفنية التي يجسدها الأديب في كتاباته تنبع من دورها في بعث الحياة في الأحداث ولا تجعلها جامدة، وتحرك العقل ليصل إلى دلالات هذه الصورة، وتحليل رموزها، فالصورة عند بعض النقاد "تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها. فأغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية، وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية "[4] نستنتج من ذلك أن الصورة الفنية شاملة الأبعاد والرموز فهي إما أن توصل للقارئ بعدا

---

[1] البيطار ، هدية جمعة: الصورة الشعرية عند خليل حاوي، أبو ظبي: دار الكتب الوطنية ٢٠١٠م ، ص ٥٥.
[2] عصفور ، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، بيروت: المركز الثقافي العربي ١٩٩٢ م، ص٣٢٧-٣٢٨.
[3] البيطار ، هدية جمعة: الصورة الشعرية عند خليل حاوي ، ص ٥٧.
[4] البطل، علي: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، دار الأندلس للطباعة والنشر ١٩٨١م ، ص ٣٠.

نفسيا أو فكريا أو يكون هدفها حسيا بحتا، ومن هنا تنبع أهمية الصورة الفنية من كونها شاملة الأبعاد ووسيلة لإيصال هذه الأبعاد إلى القارئ وتجسيدها بصورة حية نابضة بالحياة.

ومن أهم أنواع الصور وأكثرها حضورا وأثراً كانت الصورة الروائية وذلك لما لها من سهمة بالغة في خلق صور فنية وبلاغية تخرج من حدود الزينة إلى مساحة البلاغة السردية، فالصورة الروائية هي: "تصوير لغوي وفني وجمالي وتخييلي بامتياز، تعبر عن الخلق، والابتكار، والإبداع الإنساني. ومن ثم فهي تتشكل في سياقات عدة: نصية، وذهنية، وأجناسية، ونوعية، ولغوية، وبلاغية، كما أنها مجموعة من القواعد التجنيسية والنوعية، وطاقة لغوية وبلاغية، تتجاوز البلاغة التزيينية التي ترتبط بالشعر إلى بلاغة سردية موسعة "[١]

رغم تميز الصورة الروائية من غيرها من الصور إلا أنها تلتقي معها في عناصر وسمات عدة، "فهي في هذا السياق نقل لغوي لمعطيات الواقع، وهي تقليد وتشكيل وتركيب وتنظيم في وحدة، وهي هيئة وشكل ونوع وصفة. وهي ذات مظهر عقلي ووظيفة تمثيلية، ثرية في قوالبها ثراء فنون الرسم والحفر والتصوير الشمسي، موغلة في امتداداتها إيغال الرموز والصور النفسية والاجتماعية والأنتروبولوجية والإثنية، جمالية في وظائفها مثلما هي سائر صور البلاغة ومحسناتها، ثم هي حسية، وقبل كل ذلك، هي إفراز خيالي "[٢]

[١] حمداوي ، جميل: بلاغة الصورة الروائية ،المغرب: مطبعة بني أزناسن ،ص١٦.
[٢] أنقار، محمد: صورة المغرب في الرواية الإسبانية ، المغرب: مكتبة الإدريسي ١٩٩٤م ، ص١٥.

وظائف الصورة الفنية في العمل الروائي:

هناك وظائف عدة تؤديها الصورة الفنية داخل العمل الروائي، فهي ليست مجرد كلمات وخيال بل هي عنصر فاعل كباقي عناصر العمل الأدبي، لا تستخدم عبثاً، بل لتساعد الكاتب على إيصال الفكرة للقارئ بدقة كما أرادها، وهناك العديد من الوظائف تؤديها الصورة وهي[1]:

- الشرح والتوضيح: فالكاتب إذا ما أراد أن يوصل فكرة ما أو أن يترك أثرا في القارئ لا بد أن يفصل ويشرح هذه الفكرة، فيلجأ الكاتب إلى الصورة الفنية لتوضيح المعنى لما تتركه من وقع في نفس القارئ وتكون أكثر إقناعاً من أي طريقة أخرى داخل السرد، فهي تعمل على تجسيد الشخصيات بسماتها الخارجية ومكنوناتها النفسية، وعن طريق تأثريها بالمشاعر والأحاسيس النفسية تعمل على إقناع القارئ، وتجعله يتبنى الفكرة التي تجسدها الصورة الفنية.

-المبالغة: هذه الوظيفة شبيهة بالإيضاح والشرح، إلا أنها تعمل على نقل أفكار القارئ بطريقة عميقة، وتكون للخيال أكثر من كونها للشرح، فبالمبالغة يوظف الكاتب خياله أكثر من الصور التوضيحية، ويكون أكثر تعصباً وانتماءً لفكرته أو لقضايا مجتمعه أو لحبه أو أي غرض يريد إيصاله.

-الوصف والمحاكاة: الوصف "هو الخطاب الذي يسمي كل ما هو موجود، فيعطيه تميزه الخاص وتفرده داخل نسق الموجودات المتشابهة له أو المختلفة عنه "[2]فالوصف له أثر كبير في الصورة الفنية، وله أثر واضح على عناصر السرد الروائي جميعها، أما أثره في الصورة الفنية فهو كما نستنتج من التعريف يعطي الأشياء حضورا خاصا وانفرادا في ميزاته وصفاته فالوصف في السرد يؤدي وظيفتين مهمتين هما: أولاً وظيفة تختص بالمعاني والدلالة، فكلما وصفنا الشخصيات والأماكن والأشياء وأسهبنا في الوصف يصل المعنى بشكل أدق ونفهم ما ترمز إليه الكلمات ودلالة الأشياء في النص، ثانياً وهي وظيفة تزينية جمالية تعد بمثابة

[1] ينظر:عصفور، جابر:الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٣، ١٩٩٢،ص٣٢٨-ص٣٨٣.
[2] محفوظ ، عبداللطيف: وظيفة الوصف في الرواية ، بيروت: الدار العربية للعلوم ٢٠٠٩م ،ص١٣.

استراحة تأخذ القارئ من الحدث الرئيسي لتقف على وصف الأشياء بطريقة جمالية تمتع القارئ.

والمحاكاة تشترك مع الوصف في أن كليهما يقوم بتمثيل العالم الخارجي؛ فمن خلال الوصف والمحاكاة يستطيع الكاتب إخراج أفكاره إلى العالم الخارجي وجعلها مرتبطة بهذا العالم سواء أكانت الأحدث التي يحاكي بها العالم الخارجي في الماضي أم الحاضر أم المستقبل.

- التحسين والتقبيح: تعمل الصورة الفنية من خلال استخدام الأساليب البلاغية فيها على جعل القارئ يتقبل فكرة معينة من خلال تحسينها وتنميقها وتزيينها لتقربها لفكر القارئ وتقنعه بها وتجملها في نظره، وبخلاف ذلك تعمل الصورة الفنية على استخدام الأساليب كافة لتنفر القارئ من فكرة معينة وتجعله يعارضها من خلال استخدام بعض اللمسات البلاغية التي تؤثر في نفسية القارئ وانطباعاته.

- تحقيق المتعة للقارئ: فالصورة الفنية تعمل على التخلص من الرتابة والنمطية في النص الأدبي، وتفتح المجال أمام عقل القارئ لتحليل دلالات هذه الصورة ومعانيها، كما تعمل على نقله من الموضوع الأساسي في النص ليتأمل ويحلل هذه الصورة الفنية.

أقسام الصورة الفنية[1]:

- الصورة البصرية:

وهي من أوضح الصور؛ إذ إنها تقوم على النظر ورؤية الشيء ووصفه بصورة مألوفة للقارئ، وهذه الصورة تعتمد على الألوان.

- الصورة السمعية:

تُعَدُّ الصورة السمعية حاسة السمع من أهم الحواس؛ فهي أكثر أهمية من حاسة البصر وأكثر تأثيراً ، "السمع حاسة تستغل ليلا ونهارا، وفي الظلام والنور في حين أن المرئيات لا يمكن إدراكها إلا في النور "[2]

- الصورة الشمية:

تعتمد على الروائح ومصدر هذه الروائح، مثل رائحة العطور والورود والأطعمة، ولكن هذه الصورة تُعَدُّ أقل استعمالاً من الصورة البصرية والسمعية.

- الصورة اللمسية:

تطلعنا حاسة اللمس على صفات بعض الأشياء مثل النعومة والصلابة الساخن والبارد، ولكنها مثل الصورة الشمية أقل استخداماً من الصورة البصرية والسمعية، فالحاسة اللمسية تساعد على إدراك صورة الأشياء وتخيلها ولكن بقدر أقل من الصورة البصرية.

- الصورة الذوقية:

[1] ينظر:عصفور، جابر:الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٣، ١٩٩٢،ص٢٧١-ص٢٨٣.
[2] أنيس ،إبراهيم: الأصوات اللغوية ،مصر: مكتبة نهضة ١٩٥٠م ،ص ١٥.

هي شبيهة بالصورة اللمسية فكلاهما قائم على التلامس المباشر، والصورة الذوقية فقط تعبر عن مذاق الأطعمة مثل حلو و مالح وحامض.

- صورة(تراسل الصور):

وهو الانتقال من صورة حسية إلى أخرى، وإسناد وظيفة حسية إلى أخرى، مثل: جعْلِ العين ترى العطر في قولنا: رأيت عطرها، وجعل العين تستنشق خضرة السهول تنشقت خضرة سهولها، ولمست جمالها بيدي، وتسلل عبيرها إلى أذنيّ، وغيرها من الصور التي تعد ولا تحصى.

وللصورة أقسام أخرى تقسم فيه حسب الأثر الذي تتركه في ذهن ونفس القارئ، وهل وصلت الصورة مكتملة كما أرادها الأديب أم وصلت بشكل جزئي، فهناك صورة لفظية تعتمد على الحواس من سمع وبصر، وهناك صورة ذهنية تقوم على الأثر الذي يفهمه القارئ من الألفاظ والعبارات، أما الصورة الثالثة فهي صور ذهنية غير صريحة يجب على القارئ أن يستنتجها؛ فهي تعتمد على مدى فهمه وسرعة استحضاره لهذه الصورة، وتعتمد على مدى إبداع الكاتب في إيصال الفكرة والصورة للقارئ.

أما الصورة الأخيرة فهي الصورة الترابطية المعنوية ولا علاقة لها بما يقصده الكاتب أو بما أراد تصويره فهي تعتمد فقط على تجارب القارئ، ولم يخلُ الفن الروائي من هذه الأنواع التي أثرت الرواية بالصور الفنية، ومهدت للقارئ تخيل هذه الصور وتخيل شخصيات الرواية من خلال هذه الصور، فالصور الفنية جعلت الرواية بصورها مفعمة بالحركة والحيوية، فقد تجلت الصور الفنية في الرواية، فصورت الأحداث ووقفت لوصف مظاهر الطبيعة فاستخدمت ووصفت مذاق الأطعمة وطبيعة الروائح واستخدمت تراسل الصور الذي ينقلنا من حاسة إلى أخرى، وقد استخدمت الرواية الخواص الحسية والصور غير الحسية في تجسيد صورة المرأة، فصورت المرأة بصور حسية وصفت جسدها ورائحة عطرها. وصورتها بصور وجدانية تنظر في خلجات نفسها، وصورتها بصور رمزية؛ فهناك العديد

من الصور للمرأة في الرواية، وتعتمد صورة المرأة في الرواية على مدى تحرر الأديب، فمنهم من كانت نظرته تقليدية متزمتةً، لم تخرج عن الأعراف والتقاليد، فأبقى على الصورة النمطية التي يتداولها المجتمع عن المرأة، فجعلها مقهورة، سلبية، تخضع لسلطة الرجل وسيطرته، وهناك من جعلها، شريكةً للرجل، عاشقةً، متحررةً من قيود المجتمع، مناضلةً ورمزاً للحب والوطن، ومعظم العمل الروائي كان داعما للمرأة، مكرسا لمعاناتها، وأغلب الأعمال الأدبية دعت إلى حرية المرأة وبينت قيمة المرأة ودورها الفاعل في المجتمع.

بناء على ما سبق ونتيجة لهذا التباين يمكن أن نقسم تلك الصورة في الرواية العربية إلى ما يأتي:

- **صورة المرأة التقليدية المحافظة:**

فهذه المرأة تحكمها عادات وتقاليد المجتمع، ولا تستطيع أن تتخذ قراراً فيما يخص حياتها، وليس لها الحق أن تحلم أو تعشق، وتتصف هذه المرأة بالخنوع والخضوع لسيطرة المجتمع، حتى وإن كانت كارهة رافضة لهذه الأعراف فهي لا تعترض، وهي تولي أهمية بالغة لنظرة المجتمع لها؛ فلا تجرؤ على الحب أو العشق حتى وإن أحبت فهي لا تبوح بحبها بل تبقيه في قلبها طي النسيان، مسلمةً أمرها للقدر وللنصيب والحظ، وليس من حقها أن تختار شريك حياتها؛ فولي أمرها يختار ويقرر وهي عليها الطاعة باختصار هي المرأة التي تقبع خلف قيود "تابوهات" المجتمع الثلاثة: الدين والجنس والسياسة، فالمرأة "هي الضعف والسذاجة والسلبية والاستسلام، وهي صفات تتفق مع الدور الذي حدده المجتمع للمرأة، وهو خدمة الرجل وإرضاؤه، الأنوثة هي أن تتميز المرأة بصفة الخدم المطيعين المستسلمين الضعفاء "[1]ومن أهم الأدباء الذين كتبوا عن المرأة التقليدية، محمد حسين هيكل

[1] السعداوي ، نوال: المرأة والجنس ،الإسكندرية: دار مطابع المستقبل ١٩٩٠م ، ص ١٣٤.

في روايته (زينب) فزينب بنت الريف والطبيعة كانت جميلة، وقد أحبت زينب عاملا زراعياً، لكنها لم تتزوجه وتزوجت شخصاً آخر، فزينب تمثل المرأة التقليدية بكل صفاتها فهي أحبت وأخفت حبها وتزوجت زواجاً تقليدياً لا رأي لها، لكن في الرواية التي بين أيدينا "السقوط في الشمس " لا نجد صورة المرأة التقليدية حاضرة بقوة، فسناء الشعلان تعمدت عدم التركيز على المرأة الضعيفة المستسلمة، التي تخاف المجتمع والعادات وترفض التغيير، وقد ذكرت في روايتها صورة واحدة أخفت شخصيتها وتنكرت باسم رجل لتستطيع نشر كتاباتها، وهذه الصورة ظهرت بين السطور مرة واحدة فقط في المسرحية التي ستمثلها مروة عن هذه الشخصية.

وهذه المرأة هي (جورج صاند) التي تنكرت خوفا من المجتمع الذي يمنع مشاركة المرأة في الأعمال الأدبية " أتساءل ما هو موضوع هذه المسرحية ؟أسيكون عرضا لحياة الكاتبة جورج صاند ؟التي أنكرت أنوثتها، وكتبت تحت اسم مستعار، كي تستطيع أن تنشر كتابتها الأدبية في فترة كان الأوروبيون يرفضون أن يتقبلوا المرأة الأديبة "[1]

قلما نجد في روايات النساء ذكر لهذه الصورة، فروايات النساء تركز على صورة المرأة المتحررة الواعية المثقفة، وتركز على صورة المرأة المتمردة على العادات والمجتمع وكل ما يقيدها، لهذا نرى أن الشخصيات النسائية في رواية السقوط في الشمس، شخصيات متحررة ومنفتحة في علاقتها، فلا نجدها ملتزمة في لباسها، أو في علاقتها مع الرجال، ولا نرى في الرواية تسلطاً أبوياً يفرض قيوداً على المرأة، فيمكن أن نقول إن جلِّ الروايات النسوية كُتبت من أجل تحقيق هذه الغاية والسعي إلى إبرازها وهي تحرير المرأة من سطوة الرجل وقيود المجتمع.

[1] الشعلان ، سناء: السقوط في الشمس ،دار الوراق للنشر والتوزيع ، ص ١٣٦.

- **صورة المرأة العاملة والمناضلة:**

سعت المرأة إلى تحسين ظروفها، وحاولت الاعتماد على نفسها والتخلص من اعتمادها على الرجل في أمور حياتها في مأكلها، ومشربها، وملبسها، فوجدت في العمل قوة وتحقيقاً لذاتها وطموحها، فحين انطلقت إلى العمل متساويةً مع الرجل في ذلك، أصبحت ذات قرار ومسؤولية في المجتمع، وأصبحت أقوى شخصية وقيادية، فهناك فرق في المجتمع بين المرأة العاملة وغير العاملة فرق في المكانة وفي نظرة المجتمع وفرق في احترام الرجل لهذه المرأة وتقديرها، وبهذا تكون المرأة انتقلت نقلة نوعية من خلال مشاركتها في العمل، ففي رواية السقوط في الشمس نجد شخصية(أسرار) التي تمثل المرأة العاملة المناضلة، فهي تحب الزراعة والعمل داخل بيتها وخارجه محققة بذلك قدرا كبيرا من التحرر، فعملت داخل بيتها مستنبتاً شتوياً، وتتقن عمل الزراعة بشكل جيد، وقادرة على اختيار الأصناف التي ستزرعها فهي لا تقل عن الرجل قدرة أو خبرة في التعامل مع مزروعاتها بل تفوقت في ذلك على بعض الرجال، "لم تنضج أي من الفواكه أو الخضراوات لهذا الموسم بعد، ولكن زهور الفواكه تملأ المكان بالأطياف والروائح العذبة، تحدثني لساعات عن أصناف وسلالات تلك الأشجار"[1]

وقد مهد عمل المرأة وتفاعلها مع بيئتها ليخلق لنا صورة أخرى للمرأة هي صورة المرأة المناضلة التي تتحدى ظروف الحياة، وتقف جنباً إلى جنب في النضال والمقاومة، وتكون جزءاً مهما في الجانب الوطني والسياسي وعنصراً فاعلاً تناضل من أجل أسرتها وأطفالها وكذلك من أجل وطنها كما أصبحت تشارك في المظاهرات السياسية والاحتكاك المباشر من المحتل فسقطت منهن الشهيدات ودخلت السجن وعانت القهر والعذاب في سبيل وطنها.

ففي رواية السقوط في الشمس كان هناك ظهور للمرأة المناضلة التي تمثلت في شخصية (نورما) التي كانت تناضل وتدافع عن قضيتها، (فنورما) أرمينية، تنتمي بشدة إلى وطنها،

[1] الرواية، ص٨٤.

ومتمسكة بلغتها وتحمل هموم شعبها الأرميني وقضاياه النضالية ومساعيه التحررية "تؤمن بقضية شعبها، تقدس تاريخه وتراثه، ترطن من وقت إلى آخر بكلمات من لغتها التي درستها قراءة وكتابة في طفولتها، لا تنوي أبداً أن تنسى ماضيها "[1](فنورما) كانت تتحدث في كل مكان عن قضيتها وعن المذبحة التي أرتكبها الأتراك بحق شعبها، حتى أنها كانت دائماً تقف إلى جانب عيسى الشاب الفلسطيني، بسبب تشابه قضيتها بقضيته؛ فكلاهما يحمل هم الوطن، وكلاهما تعرض لنفس الألم، كانت تتمنى أن تتزوج من رجل مناضل مثل عيسى يحب وطنه ويدافع عنه، رجل محافظ ملتزم دينيا لا ينشغل عن قضايا بلده وهموم شعبه بشيء من متع الدنيا، "أنا فعلاً متحمسة لوطنية عيسى ولوطنية أمثاله لا أكثر، عندما أفكر في الزواج فلن أفكر إلا في رجل أرمني مسيحي، بل ومتدين جداً، لن أفكر بأي غريب، هكذا هم الأرمن يحبون بعضهم، وقد يحذرون الغرباء، هناك مثل أرمني يقول "فقير أرمني ولا غني غريب وأنا أؤمن تماماً بهذا المثل "[2] فنورما منتمية بشدة إلى قضيتها وشعبها وعندما قلن لها صديقاتها بأنها تحب عيسى اعترضت وقالت إنها لن تتزوج إلا أرمنياً.

صورة المرأة المثقفة والواعية سياسياً:

اختلف وضع المرأة الاجتماعي في العصر الحديث عن باقي العصور، فلم تعد المرأة رهينة المنزل محرومة من حقها في التعليم والتعلم، خرجت من بيتها تمارس حقوقها المطلقة في ذلك، فبدأت بالتعليم الذي كان ممهداً لظهور امرأة واعية مثقفة، فدخلت المدارس والجامعات، وشاركت في التعليم الذي أدى إلى ظهور أديبات ومعلمات شاركن في الجانب السياسي الذي يخص قضايا الوطن تدافع عن وطنها كما الرجل توصل صوت قضيته إلى العالم، فأصبحت المرأة تخوض في عالم السياسة بل وتتخذ القرارات بهذا الشأن، فنجد الرواية

[1] المصدر نفسه، ص١٠٩.
[2] الرواية، ص١٢٠.

العربية ركزت على هذه الصورة للمرأة بسبب أهمية مشاركة المرأة في النضال والكفاحُ إشراكها في قضايا الوطن، ودخول المرأة في مجال العلم والأدب جعلها قادرة على مواجهة الرجل والتصدي للموروث الفكري الذي رفع من شأن الرجل وجعله يسير المرأة وفق أهوائه دون أي اعتراض من المرأة، فعمل المرأة وتعلمها وثقافتها جعلها قادرة على إدراك ما لها وما عليها. الشخصيات النسائية في رواية السقوط في الشمس شخصيات مثقفة ويمثل هذه الشخصية البطلة فهي تدرس الفن ولديها ثقافة واسعة في الأساطير.

وهناك مروة التي تدرس المسرح وتتقن فن التمثيل ولديها كم من الثقافة حول تخصصها، أما أسرار فهي مثقفة في مجال الزراعة ومتقنة لهذه المهنة وتعرف الكثير من المعلومات عن النباتات وأُنس وفضيلة مثقفتان في مجال دراستهن في الجامعة، فكل هذه الشخصيات يدرسن في الجامعة ومن الطبيعي أن يكن مثقفات، وهن أيضاً مثقفات على الصعيد السياسي، إذ وقفن بجانب عيسى عندما اعتقل بسبب تعبيره عن رأيه، والتحدث عن قضيته فلسطين وعن معاناة أهله، فهن مدركاتٌ مثقفات سياسياً ويقفن في وجه الحكومة التي تكمم الأفواه ؛فهناك شخصية نسائية واحدة غير مثقفة تمثل المرأة السطحية التي لا تدرك شيئاً سوى المال والرجال وهذه الشخصية تجسدت في شخصية (شرف) التي مثلت صورة المرأة السيئة.

صورة المرأة السيئة:

إلى جانب الصور الإيجابية والجيدة للمرأة التي حاولت الكاتبة إظهارها لتواجه بها سلطة الرجل وعُنْجُهيَّة المجتمع لم يكن أمام الكاتبة المرأة بداً إلا أن تأتي على صورة مظلمة من صور المرأة حاولت الكاتبة المرأة أن تواري هذه الصورة خلف مجموعة الصور الحسنة للمرأة، إلا أن الرجل والمجتمع من خلفه أظهر هذه الصورة وغلبّوها على ما سواها من الصور الإيجابية للمرأة فكانت صورة المرأة السيئة المرأة اللعوب المرأة التي تقيم علاقات عدة مع الرجال تخون زوجها، تتاجر بشرفها من أجل المال، كانت سبباً في تلوث هواء المجتمع مما أفسد على كثير من العلاقات الزوجية صفو ودها حينما أقامت علاقات غير

شرعية مع رجال تلك الأسر وهو نموذج حاضر في مجتمعاتنا العربية ففي رواية السقوط في الشمس التي حاولت فيها الكاتبة تقديم المرأة بأجمل صورها حتى تساعد في إمالة كفة موازنتها مع الرجل لصالحها لم تجد الكاتبة بداً إلا أن تقف على صورة المرأة السيئة حتى يستقيم المشهد وتكتمل ملامح صورة المرأة في الرواية بالإضافة الى رغبتها في أن تكون عادلة في حديثها عن المرأة ناهيك عن أن هذه الصورة السيئة هي نتاج ظلم المجتمع وقهره، فعلى الرغم من سوء هذه الصورة وقبحها إلا أن الكاتبة استطاعت أن توظفها في سياق حديثها عن ظلم المرأة وقهرها وقد نجحت في ذلك.

وقفت الكاتبة في حكايتها على نوع من النساء السيئات تمثل في شخصية (شرف)التي استخدمت لها اسماً يناقض صفتها التي كان يجب أن تحمل معناه لولا تدخل المجتمع ليصيح يمثل بطاقة امرأة عديمة الشرف والأخلاق؛ فهي تقيم علاقات محرمة مع رجال عدة تتاجر بنفسها من أجل المال الذي حال المجتمع دون حصولها عليه بشرف، وقد كان لشخصية شرف حضور لافت في الرواية فهي تمثل الجانب المضاد والمعاكس لصورة المرأة الطاهرة العفيفة التي أحبت بصدق حافظت على نفسها، صبرت على الحب كانت تحلم بزوج مخلص وبيت دافئ وأطفال رائعون، فشرف كانت تقيم علاقة مع بطل القصة الذي كانت تعشقه البطلة (ارتميس)، وقد حملت منه ما أجبره على ترك حبيبته (أرتميس) ويتزوج من شرف؛ فكانت شرف سبباً في فراقهما وتدمير حُبّهما، وكانت شرف تقيم علاقات مع العديد من الرجال وقد كان المال بوصلتها في اختيارها لهؤلاء الرجال "يسألني عن شرف أجيبه عنها باقتضاب، أتخيل كم هو مناسب لها، ستعشق نقوده بشكل كبير، وستقدم جسدها رخيصاً مقابل أمواله، وهو مستعد دائماً للدفع وبكل سخاء "[1] لقد مثلت شرف صورة المرأة السيئة المقهورة وأيضا العاجزة، فهي على الرغم من الظلم والقهر الذي أجبرت عليه إلا أنها لم تحاول أن تثور

[1] الرواية، ص٩٦.

وتنتفض في وجه ذلك الظلم بل سلمت له ورضيت به على العكس من الصورة الايجابية التي تمثلت في صورة المرأة المتمردة.

أما كاظم وهو يتحدث مع أرتميس وتسأله عن شرف "قلت له بفضول مفضوح: هل تعرفها؟ ابتسم، وقال لي بنظرة خليعة، تناسب اتساع عينيه وبروز محجريهما: لم أقابلها من قبل، ولكن من لا يعرف هذا النوع من النساء "[1]فشخصية شرف شخصية مشهورة عند الرجال، ويعرفونها جيداً لكثرة علاقاتها مع الرجال، حتى أن النساء ينزعجن منها فهي تسبب دائماً المشاكل للعاشقين ف (أرتميس) كانت دائماً تنزعج من زيارات شرف المستمرة لحبيبها الذي ترى أن شرف قد أفسدته عليها لكنها كتمت تلك الغيرة خوفا على حبها له أن يندثر إذا ما كاشفته بالحقيقة، "أتأمل وجهك تتبدد ابتسامتي، أحادث نفسي: سأكون أفضل لو انقطعت زيارات شرف لك، ليتك تعرف أي الميتات أموتها عندما أراها تزورك، وتحضر كثيراً من مؤتمراتك أو في معارض الطلاب الفنية التي تشرف عليها "[2]في أحداث الرواية تذهب (أرتميس) لتزور حبيبها في مرسمه، فوجدت شرف عنده، وكان حبيب (أرتميس) يقرأ الشعر لشرف التي لم تفهم منه شيئاً بل فهمته بشكل سطحي "، شرف كم أنت جاهلة !كدت أغضب من وجودك، لكن فكرك الضحل هو أكبر عقاب لمن أحب، عاقبيه أكثر، ودعي لغة الفراش لقلوب تعرف العشق، وتعرف قيمة الحياة "[3] فحبيبها كان يقرأ شعر عن الفراشة وشرف لم تفهم شيئاً من هذا الشعر وقالت ما هذه الفراشة الحمقاء هنا ترسم الكاتبة معلم آخر لصورة تلك المرأة السيئة وهي انعدام الثقافة والاطلاع، فهي امرأة عامية جاهلة، وهي بذلك تشير الى قضية مهمة وهي أن شرف لو نالت حقوقها الكاملة في التعليم والثقافة ما كانت الآن على ما هي عليه، فهي المرأة السيئة التي تنغص على أرتميس حبها، وتزعجها في حبيبها الذي لا ولن تكف عن ملاحقته والاتصال به "ليت حبك لي يجعلك ترفض أي مكالمات من شرف،

[1] الرواية ، ص ٧٤.
[2] المصدر نفسه، ص٨١.
[3] المصدر نفسه، ص١١٠.

أصبحت تكثر من مكالماتها لك "[1]؛فهي تغيض أرتميس بتصرفاتها ولا تكتفي برجل واحد بل تلاحق جميع الرجال.

صورة المرأة المتمردة:

هي المرأة التي وقفت في وجه العادات والتقاليد والمجتمع، وهذه الصورة على النقيض من صورة المرأة التقليدية، فهنا المرأة تمردت ورفضت الاستسلام، وهناك أنواع لتمرد المرأة فهناك تمرد اجتماعي وتمرد ديني: أما التمرد الاجتماعي فكان تمرداً على عادات المجتمع وسلطة الأب وتحكمه، فالروايات تناولت هذه المواضيع بكثرة لتحارب هذه العادات وتخلص المرأة من الكبت ومن سلطة الأب، وكتابة المرأة عن هذه الظواهر يعد أكثر تأثيراً من روايات الرجل "كتابة المرأة عن الرجل معناه إنهاء تاريخ مديد من الوصاية والأبوة والسلطوية، هي القضاء على الفحولة وسلطان الفحل؛ لأنها تقتضي تحويل الفاعل إلى مفعول به، لكي يكون الكاتب مكتوباً ويكون سيد اللغة مجرد مجاز لغوي في خطاب مؤنث "[2]ظهرت المرأة المتمردة بكثرة في روايات النساء؛ لأنها تعبر عن واقع المرأة ورغبتها في التخلص من قيود المجتمع، وهناك تمرد آخر ظهر في روايات النساء وهو التمرد الديني حين تمردت المرأة على تابوه العيب والحرام " فالمنظومة الاجتماعية تفرض مجموعة أساليب قمعية تقهر الإرادة الأنثوية وتسعى لأجل مصادرة اختيارات المرأة منذ الطفولة، يتجلى ذلك من خلال حرمانها من اللعب جهراً، أو مع الذكور، والظهور والانكشاف دون ستر، والفصل والعزل الجنسي في مرحلة الصبا، وتحديد حركة الفتاة وخروجها من البيت وحرمانها من التعليم ومواصلة الدراسة والعمل ومصادرة حرية اختيارها للزوج " [3]وكل هذه القضايا الاجتماعية والدينية تظهر بكثرة في روايات النساء.

---

[1] المصدر نفسه، ص١٩٩.

[2] الغذامي، عبدالله: المرأة واللغة ، بيروت: المركز الثقافي العربي ٢٠٠٦م، ص١٨٩.

[3] كاظم ، عبدالله وآخرون: الأنثى تبوح بسيرتها إشكالية البوح وأنماطه في كتابة السيرة الذاتية النسائية، عدد ١ ، مجلد ١٥ ، مجلة القادسية ،٢٠١٢م، ص٢٧.

في رواية السقوط في الشمس نجد النساء فيها متحررات لا تحكمهن العادات والتقاليد وكذلك الدين، فهن متحررات في لباسهن، و في حرية الخروج متى شئن دون الخضوع لسلطة الرجل، متحررات في علاقتهن مع الرجال فالبطلة حينما ذهبت لترى حبيبها، لم تبالي بأحد ولم تأبه بنظرة المجتمع لها ولم تحسب حساباً لزوجها وأبنائها تركت كل شيء لأجل عشيقها "عندها سأقول لك غير مبالية بالدنيا كلها ونيرانها، بل غير مبالية بدموع أحلام وانكسارات زوجي وهمسات الأقارب وسخرية المعارف: لقد عدت"[١]فهي تمردت على كل العادات والمجتمع من أجل نظرة من حبيبها، والبطلة متحررة في لباسها غير ملتزمة بالعادات ولا بالدين، وأيضاً من صور تحررها علاقتها مع حبيبها فهي كانت تبادله الحب وتصرح بعشقها بكل جرأة وكانت تخرج معه وتذهب إلى بيته وكانت تقبله وتضمه "يستقبل تجويف فمك دمعة فرت سريعاً من عيني، أدفن رأسي في صدرك بعد أن أغرقته بقبلاتي، وتداعب شعري بضعف وتقول: جسدك بارد.."[٢]وحين تسافر هي وحبيبها إلى إيطاليا تعجبها الحرية في تلك البلاد وعدم سؤالهم عن صلة قرابتهم عندما حجزوا غرفة في الفندق "في هذه البلاد لا يحتاجون إلى ورقة صفراء يوقع عليها رجل دين، ويشهد عليها غريبان كي يباركون العشق.."[٣]فالبطلة ترفض كل العادات والتقاليد التي تقف في وجه عشقها، متحررة تملك قرارها بنفسها، وحين تتحدث عن (نورما) وهي أكثر شخصية متحررة في الرواية تقول "وأمثال نورما التي كانت تغرق المكان بضحكاتها اللعوب التي سرعان ما تتعالى لأي همز أو لمز أو إشارة مثيرة من نوع خاص اعتادتها في بيئتها المتحررة نوعاً ما "[٤]

ومن الصور التي رسمتها الروائية للمرأة المتمردة في روايتها، صورة المرأة التي تطالب التحرر من قيود الزوجية، فهي لم تعد ترغب باقتصار علاقتها بزوجها فقط، فهي حرة في عشقها وعلاقاتها خارج حدود الزوجية التي تفرضها عليها العادات والتقاليد تقول: "لا

---

[١] الرواية، ص١١.
[٢] المصدر نفسه، ص ٩٨.
[٣] المصدر نفسه، ص٢٢٣.
[٤] المصدر نفسه، ص١٧.

أخشى فكراً وتقاليدَ وعاداتٍ تطعم حبي للنار وتصادر جسدي بتهمة العشق، لكني أتكتم على لقاءاتنا، لأنني غيورة، غيورة جداً "[1] لذلك وصفت بطلتها بالثائرة المتمردة؛ إذ ثارت على هذه العادات وأصحبت غير مبالية بها وبأصحابها تتخذ قرارها بناء على ما تراه مناسبا لها لا كما تقضي به العادات والمجتمع، ف (أرتميس) هنا تعلل إخفاء حبها عن الناس ولقاء حبيبها بشكل سري لأنها تغار عليه، وأنها لا تخفي هذا الحب بسبب العادات والتقاليد فهي لا تخشى العادات والمجتمع ولا تأبه به وهذا يدل على تمرد أرتميس وحريتها في أخذ القرارات.

صورة المرأة العاشقة:

تناولت الروايات علاقة الحب بين الرجل والمرأة ، وقد توقفت الكاتبة على غير صورة من صورة المرأة العاشقة، فغالباً ما كان الحب غير مصرح به من قبل المرأة، فهناك صورة تضحي بها المرأة بحبها وتتزوج برجل آخر تحت سطوة العادات والتقاليد، ونادراً ما نجد صورة المرأة التي تصرح بحبها فهذا غير مسموح في المجتمعات العربية، لكن الروايات بشكل عام تطرقت إلى موضوع الحب وجسدته في المجتمعات العربية لتؤكد على حق المرأة في الحب وفي اختيار الشخص المناسب لها مثلها مثل الرجل، وأيضاً تطرقت رواية النساء للحديث عن الحب ولكن عن طريق التلميح، فالحب مهم بالنسبة للمرأة الروائية، ونجد في رواية السقوط في الشمس صورة المرأة العاشقة حاضرة بقوة، فالرواية في الأساس حكاية عشق، والمميز في هذا العشق في الرواية أن البطلة لم تلمح وتواري حبها خوفاً من المجتمع بل كانت صريحة في حبها جريئة تريد أن تخبر الدنيا كلها بهذا الحب، وهذا ما ميز الروايات النسائية المعاصرة وهو البوح بالعشق وعدم إخفائه، فالكاتبة بدأت روايتها بكلمات عشق "لأن قلبي أهداني إليك، لأن روحك تسكن جسدي، لأن طيفك يلازمني أبداً، لأن كل ما صنعت يداي يحاكي رسم عينيك، أقول لك وأستثني كل البشر: إليك "[2]؛ فالبطلة متيمة بحبيبها تعشقه حد الجنون، وتبوح بحبها في كل سطر وكل زاوية من هذه الرواية، وهي بتلك الصورة لا

[1] الرواية، ص١٦٦.
[2] المصدر نفسه، ص٣.

تصور نفسها فقط بل تصور رغبة كل النساء وتظهر للمجتمع مكنونات أنفسهن "أنا عشق نساء الأرض كله، أنا شوق نساء الأرض كله، أنا رغبة نساء الأرض كلها، تحاصر رجلاً واحداً.. نعم أنت "[١] فمن شدة عشقها لحبيبها وصفت شوقها بشوق نساء الأرض قاطبة وقلبها يمتلأ عشقاً يفيض ليصبح كعشق كل نساء الأرض، وفي موضع آخر تقول: "أنا كنت شعباً من العشاق، هذا المحل يقتات من عشقي "[٢]فهي تعشق بجنون، تعشق بقوة، وتكرر في الرواية أنها ولدت لكي تحب هذا الشخص فمهمتها على الأرض فقط عشق حبيبها، " فأنا بعثت إلى الأرض في مهمة واحدة: أن أحبك "[٣]"لقد خلقت لكي أحبك"[٤] وقد كررت هذه الكلمات كثيراً في الرواية فهذا الحب هو قدرها، وحياتها، فالمرأة العاشقة تتخلى عن كل الدنيا لأجل حبيبها فهي تركت أطفالها وزوجها فقط لتراه "عندها سأقول لك غير مبالية بالدنيا ونيرانها بل غير مبالية بدموع أحلام وانكسارات زوجي وهمسات الأقارب وسخرية المعارف: لقد عدت"[٥]فالدنيا كلها في كفة وعشقها في الكفة الأخرى فهي لا تبالي بأحد سوى حبيبها.

فالمرأة العاشقة تحارب الدنيا، والمجتمع والأقارب وتضحي بعائلتها من أجل نظرة من حبيبها، غير مبالية بصفات حبيبها الذي خذلها مرات عدة، إلا أنها تبقى تحبه حد الجنون، دائماً تتغاضى عن زلاته، وتغفر هفواته، تقدم له الكثير دون مقابل منه، حتى أن بطلة الرواية كانت تتعاطف مع حبيبها حين يحزن لزواج شرف وكانت تواسيه، وقد استمعت له حين قرأ الشعر الذي كتبه لشرف "قد أتتك حبيبتي في ثوبها الأبيض عروساً كالقمر، كأردية السحر، أبتسم مقتولة، وأقول بنبرة أحاول أن تبدو حازمة: إذن فهي حبيبتك ؟[٦]فالبطلة دائمة الوقوف إلى جانب حبيبها لا تهمها نفسها بقدر ما تهمها سعادته، "أنا مهووسة بك..أما أنت فلا تحتمل

---

[١] الرواية، ص٥.
[٢] المصدر نفسه ،ص٩.
[٣] المصدر نفسه، ص١٦.
[٤] المصدر نفسه، ص ١٧٥.
[٥] المصدر نفسه، ص١١.
[٦] المصدر نفسه، ص١٦١.

مثل هذا الهوس "[1] "تراهن كثيراً على عشقي، أما أن أقل لهوك مع النساء، فهذا لم تراهن عليه أنت رجل لا تملك إلا أن تكون معشوقاً"[2]تعشقه في كل حالاته، حين يسعدها، وحين يخذلها، وحين يحب أخرى، لا تقدر إلا أن تعشقه، فهو قدرها.

وبهذا نستنتج أن المرأة العاشقة تتمسك بحبيبها في كل الظروف، وتتغاضى عن كل زلاته فقط لتبقى إلى جانبه، لا يهمها من الدنيا سوى قربه، لا تهتم بخيانات الرجل المتتالية بقدر ما يهمها عشقها واستمرارها في تفوقها على العادات والمجتمع.

صورة المرأة الرمز في الروايات:

تعد صورة المرأة الرمز من أهم صور المرأة في الرواية وأبرزها لما لها من حضور لافت في الرواية بشكل عام وفي الرواية النسوية بشكل خاص وذلك لما يحمله الرمز من دلالات وإيحاءات تخرج بالنص من سياقه المكتوب إلى سياق واسع لا نهاية لدلالاته، فقد استخدم الروائيون الرمز لإثراء النص الأدبي، فالرمز يعبر عن المشاعر والأحاسيس ويخوص في خفايا النفس وأعماقها، ويحمل دلالات عدة تجعل القارئ يؤوله حسب فهمه ومن زاوية قريبة من وجهة نظره وأفكاره، ويوحي الرمز داخل السرد إلى أبعاد ومعان عميقة من يصعب تجسيدها بصورة عادية فيكون الرمز أفضل وسيلة لتجسيد المعنى بصورة مبالغة وخيالية ودرامية أكثر من باقي الوسائل في الصورة الروائية.

ولأهمية الرمز نجد الروائيين قد عبروا عن صورة جديدة للمرأة وهي الصورة الرمزية للمرأة في الرواية فالمرأة رمزت في العديد من الروايات للوطن، وهناك نوع آخر استخدم في الرواية هو الرمز الأسطوري الذي شبه فيه المرأة بالآلهة، إذ نجد الكثير من الرموز الأسطورية التي تنقسم إلى دينية أو طبيعية تجسد الظواهر الطبيعية وأكثر ما يميز الأساطير أنها تقوم على الصراعات وقلب الأحداث من أحداث واقعية إلى أحداث درامية خيالية والأساس الذي

[1] الرواية، ص٧٩.
[2] المصدر نفسه، ص٧٩.

انبعثت منه الأساطير هو "طموح الإنسان وآماله ومخاوفه والتي بنى عليها فلسفته المضادة للعقل، إذا جاز لنا أن نعتبر الأساطير فلسفة الإنسان القديم، والمادة التي كون منها عالمه الدينامي بوصفه الأنا الزاخرة بالحياة والعظمة والجلال"[١]

لقد حفلت رواية السقوط في الشمس بهذا النوع من الصور إذ نجدها وظفت الأساطير بشكل كبير فقد صورت المرأة في أكثر من موضع بالآلهة، فتارة تصورها بآلهة الجمال وتارة أخرى بآلهة القمر، فبطل القصة أسمى حبيبته (بأرتميس) "إلى الهتي الساحرة، إلى أرتميس حتى ألقاك "[٢]فهنا صور حبيبته (أرتميس) آلهة القمر فهي تشبهها بالطهر والعذرية، والجمال وشبهها أيضاً ب(إفروديتا) في جمالها "تركض عيناك في قسمات وجهك، وتقول: عيناك الساحرتان، شعرك الهائج، بشرتك الوردية، أنفك..فمك تشبهين (إفروديتا)هذا الجمال يحاكي آلهة للجمال "[٣]إلا أن حبيبته رفضت أن يشبهها ب(إفروديتا)على الرغم من أنها آلهة للجمال لكنها تصور المرأة اللعوب لها علاقات متعددة، وتعشق كل يوم رجلاً جديداً فهي غير مخلصة وحبها غير طاهر وليس عذرياً، فهي ترفض أن تكون مثل هذه اللعوب؛ لأنها مخلصة لحبيبها لا تحب سواه، وقد ذكرت الكاتبة أسطورة أخرى تشكل صورة جديدة للمرأة الخائنة التي ضحت بحبيبها من أجل المال ، فقد طلبت منه حبيبته وردة حمراء، وكان ذلك في فصل الشتاء فحزن لأنه لن يستطيع أن يجد وردة حمراء، وحزن صديقه البلبل لأجله ووعده بأنه سيجلب له وردة حمراء في الصباح، فخضب البلبل الوردة البيضاء بدمائه ومات، "حزن الفتى على استشهاد بلبله، ولكنه حمل الوردة، وذهب بها إلى فتاته التي كانت تراقص فتى غنياً، ورفضت أن تراقصه، حتى وردته الحمراء نظرت إليها بتقزز، وسرعان ما رآها الفتى تحت الأقدام تداس ويداس معها قلبه، وقلب بلبله الشهيد "[٤]

---

[١] عاطف ، جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفية ، بيروت: دار الأندلس١٩٧٨م، ص٣١.
[٢] الرواية، ص ٥٨.
[٣] المصدر نفسه، ص٦٠.
[٤] المصدر نفسه، ص٣٩.

هذه الأسطورة تمثل المرأة الخائنة التي لا تعرف معنى الحب، ولا يهمها شيء سوى المال، فرواية السقوط في الشمس وظفت الأسطورة بشكل لافت في تشكيل صورة المرأة، فتعددت الأساطير وكانت كل أسطورة تصور نموذجاً مختلفاً من النساء، ومن الأساطير التي صورت المرأة بشكل إيجابي أسطورة (فيليمون)وزوجته (برسيس) فهي نموذج للمرأة المحبة المخلصة لزوجها "تقول الأسطورة الإغريقية إن (فيليمون)هو رجل عجوز قضى حياته مع زوجته المحبة (برسيس)، أحبت الآلهة طيبة نفسيهما وكرمهما، فطلبت منهما أن يتمنيا عليها، فطلبا أن يعيشا سويةً، وأن يجتمعا سوياً بعد الموت، فحولتهما إلى شجرتي سنديان متقاربتين متحابتين إلى الأبد "[1]فهذه الأسطورة تسطر حب الزوجة وإخلاصها وتفانيها ورغبتها في البقاء مع زوجها إلى الأبد.

ومن الرموز الأسطورية التي استحضرتها الكاتبة للمرأة هي صورة المرأة آلهة الخصب؛ فهي مصدر الخصب والنماء، فهي التي تنجب الأطفال وتنتج القمح وتنبت العشب وتبعث الحياة، وفي استحضار هذا الرمز إعلاء لشأن المرأة ورفع من قدرها، تقول: "آلهة الخصب امرأة شابة بجسد ممشوق، شعرها الأسود يصل إلى أخمص قدميها العاريتين، ثوبها الأزرق بخطوطه الحمراء يكسو جسدها، تمسك بيدها منجلاً ذهبياً رمزاً لعمل الفلاحين، يطوق رأسها إكليل من سنابل القمح الصفراء الناضجة تحدق في البعيد، كأنها تأمل في شيء يهبها إياه المجهول "[2]

صورة المرأة الأم:

تعد صورة المرأة الأم من الصور الرئيسة التي صورتها الرواية كنموذج من نماذج صور المرأة في المجتمع التي تناولتها الرواية نقداً وتحليلاً، وقد تباين الاهتمام بهذه الصورة

[1] الرواية، ص٥٧.
[2] المصدر نفسه، ص٧٠.

في الروايات فمنها ما ركز عليها وأولاها بالغ الاهتمام فهي الأم الخصب، النماء، مصدر الحياة،، وهي الرمز لكل شيء مشرق تتلخص من خلال حروفها معاني الحياة، تمثل رمز الحنان والدفء إن للزوج وإن للأبناء فهي سراج البيت الذي إن انطفأ صار البيت إلى ظلمة أبداً، وقد كان لهذه الصورة من صور المرأة في الرواية حضورٌ بارزٌ خصوصا في الرواية النسائية في حديث المرأة عن نفسها، إذ ترى أن هذا الجانب من جوانب شخصيتها المتميزة قد أنكره عليها الرجال والمجتمع الذكوري، فحاولت الكاتبة المرأة أن تبرز هذه السمة في سخصيتها وتنظِّر لها لتفاضلها بها عن الرجل.

وقد بدت هذه الصورة لافتة في رواية السقوط في الشمس، فالبطلة تمثل صورة الأم التي تركت أطفالها وضحت بهم من أجل حبيبها إلا أنها كانت تفتقدهم وتفتقد أحلام ابنتها كثيراً "بحنو الأم التي تفتقد صغارها، كما أفتقد أحلام بالذات من دون إخوتها "[1]ومن استذكاراتها عندما كانت تتذكر أمها باستمرار وتتحدث عن طيبة قلبها وحنانها "كيف لا تكون طيبة من تعشق الورود، وتزرعها في حديقتها وعلى منزلها ؟"[2]فهي دائماً ما تتحدث عن رقة أمها وحنانها وطيبتها وكم تعبت لتربيتهم وإنشاء أسرة سعيدة وتتحدث عن علاقة أمها مع والدها والحب الذي يجمعهما، فأمها ملأت بيتهم حباً وحناناً وطمأنينة، والبطلة تتذكر أمها كلما شربت عصير البرتقال، فرائحة البرتقال تشبه رائحة جسد أمها "أما أنا فأغرق في رائحة البرتقال، كم أحب هذه الرائحة التي تذكرني برائحة جسد أمي، ما أجمل الأمومة تضمخها رائحة البرتقال، هكذا حفظت رائحتك يا أمي.الحنان ورائحة البرتقال ويداك الطاهرتان تمسحان دموعي "[3]وفي أغلب المواضع التي تتذكر أمها لا بد أن يكون البرتقال يميز هذه الذكرى "اقتربت أمي مني، وضمتني نحو جسدها الغارق برائحة البرتقال، وقالت لي: يعني فتاة طيبة يا حبيبتي، قلبها يعرف معنى الحب ومعنى الحزن "[4]وفي حزنها وفي مرضها لن

---

[1] الرواية ،ص١٠.
[2] المصدر نفسه ،ص١٩.
[3] المصدر نفسه ،ص٢٨.
[4] المصدر نفسه ،ص٢٨.

تجد حضناً كحضن أمها، حتى عندما انهت دراستها وعادت حزينة لفراق حبيبها تقول" حضن أمي أول ما يستقبلني، حضنها غارق برائحة البرتقال، أشمه، أقبلها، أتمنى أن تمتد يدها لتوقظني من نوم طويل "[1]وعند حزنها وألمها لفقد حبيبها تجد أمها ملازمة لها حزينة لا تدري ما بال ابنتها "تدعو لي أمي بالشفاء، تقرأ لي بعض القرآن، أنام على كلماتها وتعاويذها [2]"

فنجد في رواية السقوط بالشمس صورة الأم حاضرة بقوة لا تفارق خيال وواقع وذاكرة البطلة كما عشقها لحبيبها، لكن حب الأم وحنانها لا يؤلم، حب معطاء، تجسد هذه الرواية صورة الأم المثالية التي تقدم كل ما تستطيع لأبنائها، فأمها كانت منذ طفولتها إلى أن شاخت وهي تمدها بالحب والحنان والقوة "وشاخت أمي وهي تلعن شجرة الياسمين "[3]فأمها تكره كل ما يؤذي فكانت تلعن شجرة الياسمين ظناً منها أن سحراً دفن تحتها جعل ابنتها تذبل وتمرض، فالأم تحارب الدنيا من أجل أبنائها وتكره كل ما يؤذيهم، ففي الرواية لا نجد إلا صورة لأم حنون تسمو بمشاعرها وبحبها فلا تجد مثلها بين كل البشر.

صورة المرأة الزوجة:

إن من الصور التي لا تكاد رواية تخلو منها هي صورة المرأة الزوجة إذ لا بد من الحديث عن المرأة الزوجة وعلاقتها بزوجها إن سلبية وإن إيجابية في أي رواية تجعل من مواضيع المرأة محوراً للكتابة فمن خلال الحديث عن ثنائية الرجل والمرأة تظهر صورة المرأة الزوجة جلية، وقد ظهرت بعض النماذج لصورة المرأة الزوجة في رواية السقوط في

---

[1] الرواية ، ص ٢٥٩.
[2] المصدر نفسه ،ص٢٦١.
[3] المصدر نفسه ،ص٢٦٢.

الشمس، وكان ذلك في بداية الرواية عندما تحدثت البطلة عن نفسها فهي هنا تصف الصورة السلبية للزوجة؛ فالبطلة لم تحب زوجها أبداً وقد جعلت حياته مملة غير مفعمة بالحب والأحلام، حتى أنها جعلت حياته كئيبة مجردة من الأحاسيس، فهي لم تكن مخلصة له؛ إذ بقيت تحدث حبيبها وترسل له أخبارها مع عائلتها حتى بعد زواجها، "لطالما سببت له الحزن، لقد أرادني حبيبة، فلم أعطه غير زوجة بليدة وحفنة من الأبناء "[١]

وقد برزت صورة إيجابية للزوجة في رواية السقوط في الشمس تمثل فيها صورة المرأة المخلصة التي تنتظر زوجها الغائب، ولا تستبدله بغيره وتصون نفسها حتى وهو بعيد عنها لا يراها "سكنت جسد امرأة أفنت العمر في انتظار الزوج الغائب "[٢]فهذه الزوجة ضحت بشبابها وعمرها على أمل لقاء زوجها فهي محبة مخلصة متفانية في حفظ بيتها وزوجها، ومن صور الزوجة المخلصة والمضحية والمطيعة زوجة "سعادة" وهو رجل مقعد كان ضابطا في الجيش وقد أصيب بالشلل عندما اجتاح الصهاينة معظم الدول العربية فأصيب بالشلل بسبب حزنه "فتأكدها زوجته بابتسامتها الراضية وهي تطل من المطبخ تحمل إبريق الشاي "[٣]وهناك صورة "أُنْسْ" التي تمثل الزوجة المطيعة، ف "أُنس" التزمت بلبس الحجاب لأجل إرضاء زوجها.

صورة المرأة الفلسطينية:

لقد كان للواقع المعيش وللبيئة الحياتية والظروف التي تعيشها المرأة بفعل العوامل السياسية والاقتصادية أثرٌ في تشكل ملامح صورة المرأة إن سلباً وإن إيجاباً فإن كان الفقر سبباً من أسباب وجود المرأة السيئة التي دفعها الفقر إلي الإتجار بشرفها من أجل المال فقد كان السبب نفسه من أسباب تشكل صورة مثالية للمرأة القوية المرأة التي تصبر على الجوع،

---

١ الرواية ،ص١٠.
٢ المصدر نفسه، ص٦.
٣ المصدر نفسه، ص٦٩.

المرأة التي تدافع عن عرضها وأرضها، المرأة التي تقوم على تربية أبنائها بعد رحيل زوجها الشهيد، تزرع الأرض بيد وتحمل بندقية بأخرى، تدافع كما الرجال إن استوجب الأمر عليها، وقد تتعرض للموت و السجن و التنكيل في سبيل ذلك وشعارها في ذلك تموت الحرة ولا تأكل بثدييها، فكانت هذه الصورة حاضرة في قسمات تجاعيد وجه عجوز فلسطينية عانت الكثير ولا زالت تعاني، لتضيف إلى صور المرأة في الرواية صورة جديدة متميزة دفعت بالمرأة إلى الأمام دفعة جعلت منها مساوية للرجل بل سباقة له في بعض الأحيان.

إنها صورة المرأة الفلسطينية المناضلة التي أصبحت رمزاً للمرأة الفدائية الصابرة في كل العالم، ولأن رواية السقوط في الشمس رواية نسوية حرصت على الإعلاء من صورة المرأة وتفوقها في جدليتها مع الرجل، كان لا بد لها من استحضار هذه الصورة وإظهارها بقوة لما تعنيه من رمزية في الشعور الجمعي العربي، فالمرأة الفلسطينية مثال المرأة الحسنة، ومن هذه الصور التي قدمتها السقوط في الشمس للمرأة الفلسطينية، فجسدت صورتها في التمثال الذي نحته عيسى الشاب الفلسطيني "امرأة فلسطينية بثوبها الداكن، ذي النقوش المهترئة، الثوب طويل، لكنه لا يخفي قدميها الحافيتين، التقرحات والجروح واضحة فيهما، بضعة حجار تدوسها بقدميها.إلى جانب قدمها حمامة مسجاه وقد دق عنقها، التي تظهر ملوية نحو جسدها، والجناحان مكسوران.المرأة تتقلد سلاسل حديدية تحني ظهرها المتعب، آثار الغضب والنصب في وجه المرأة، ضفيرتا شعرها تبرزان من تحت غطاء رأسها الطويل، تقبض في يدها اليمنى على حجر كبير، تقبض عليه بقوة تبرز عروق يدها الدامية التي تنزف بشدة، في كف يدها اليسرى تحتضن كف طفلها الصغير، تعبيرات وجهه غير ظاهرة، لأن رأسه مائل إلى أسفل وهو يلتقط حجراً من الأرض تماماً من جانب الحمامة المقتولة "[1]

فهذه الصورة للمرأة الفلسطينية ظهرت فيه صور عدة للمرأة الفلسطينية، فهناك المرأة الفلسطينية المناضلة التي تقاوم الصهاينة، والمرأة الأم التي تربي ابنها على حب وطنه وأرضه

[1] الرواية، ص١٠٤.

وتزفه شهيداً، ثم المرأة المحافظة؛ فالتمثال جسَّدَ لباس المرأة الفلسطينية المحافظة فهي تلبس ثوباً طويلاً وغطاءً للرأس، وهناك صورة أخرى بدت في هذا التمثال وهي صورة المرأة المضحية التي يظهر عليها ضنك الحياة وتعبها.

المرأة حسب التقسيم الجغرافي:

لقد تجاوزت الصورة التي وقفت عليها الرواية حدود الصور المتعلقة بنفسية المرأة وطبيعتها، إلى مسبب آخر لا يقل أهمية وسهمة في رسم ملامح صورة المرأة وهو التقسيم الجغرافي؛ إذ للعامل الجغرافي أثر في تشكل معالم صورة المرأة وتحديد ملامحها، فنجد أن هناك فرقا واضحا بين طبيعة المرأة البدوية وخصائصها عن المرأة المتحضرة، مما يسهم ذلك في تغير طبيعة علاقتها مع الرجل وبالتالي تختلف سمات الجدلية بينهما، وقد كان لهذه الصور حضور في رواية السقوط في الشمس أجملها فيما يأتي:

المرأة الريفية:

وهي المرأة التي تسكن في الريف تفلح الأرض ومن صفاتها أنها: بسيطة، مضحية، وزوجة مخلصة متفانية بعملها في أرضها، تشارك زوجها تكاليف لحياة ومشقة العمل، مثلت صورة مشرقة من صور المرأة في الرواية، وهي المرأة الفلاحة "سكنت جسد فلاحة نذرت شبابها وقوداً في محرقة أعباء الحياة، تتقاسمها مع شريك عمرها ومليك قلبها "[1] تستحضر

[1] الرواية ،ص٦.

الكاتبة هذه الصورة لتصور تمسك البطلة بحبها وإخلاصها لهذا الحب بالمرأة الفلاحة المخلصة التي تكابد عناء الحياة مع شريك حياتها، تتحمل ضنك العيش وتكاليف الحياة في سبيل الحب، تماما مثل هذه المرأة التي تعاني ما تعاني في سبيل بيتها وزوجها.

المرأة البدوية:

هي المرأة التي تسكن الصحراء وحياتها قائمة على الترحال لا تقل حياتها ضنكا عن الفلاحة، فهي تشبهها تماما في عملها وكدها، ترعى الغنم، تقدم كامل وقتها وطاقتها في سبيل زوجها وبيتها حبا وطواعية، وقد استعانت الكاتبة بهذه الصورة في رواية السقوط في الشمس في حديث الكاتبة عن عشق البطلة الذي سكن جميع نساء الأرض " سكنت جسد بدوية تائهة عطشى، ترسم وجهك سراباً في صحرائها "[1]فهي كالبدوية الجمل التي تصبر على الصحراء بكل ما تندرج تحت لفظتها من أحوال قاسية ومشاق.

المرأة الحضرية:

وهي المرأة التي تسكن المدينة وتتميز بالتحرر، امرأة متعلمة، لا تعاني الذي تعانيه المرأة الفلاحة أو البدوية، امرأة تمردت على العادات والتقاليد وقد نجحت في ذلك إذ حصلت على حريتها المطلقة، وقد كان لهذه الصورة الحظ الأوفر من الرواية إذ نجد أن أغلب الشخصيات النسوية هن نساء متحضرات يتمتعن بالحرية الكاملة فشخصية البطلة المسيطرة

[1] المصدر نفسه ،ص٦.

في الرواية كذلك شخصية شرف ومروة وفضيلة و(نورما) كلها شخصيات لنساء متحررات تجاوزن العادات والتقاليد وسلطة الرجل، صورة لنساء دخلن جدلية عريضة مع الرجل وقد خرجن منها بنتائج كما تشتهين.

من خلال دراستنا لصورة المرأة في رواية السقوط في الشمس وطبيعة الجدلية القائمة بينها وبين الرجل، نجد أن الرواية تدعم تحرر المرأة وتدعوها إلى الثورة على المجتمعُ و إلى الخروج على الرجل، تدعوها إلى انتزاع حقوقها التي نامت عنها العادات والتقاليد لصالح الرجل، وقد استعانت الكاتبة بعدد لافت من صور المرأة في الأدب، في سبيل خدمة ما ترمي إليه، وقد حاولت إقامة مقارنات بين هذه الصور ثم لتخرج بنتيجة مفادها أن الحياة الكريمة للمرأة تكمن في تحررها و في خروجها على التابوهات الثلاث الدين والجنس والسياسة، لذلك نجدها قد ركزت على صورة المرأة المتحررة التي تحصلت على كامل حقوقها واستطاعت أن تبدي رغباتها ومكنونات نفسها دون قلق، وقد حرصت على أن لا يفهم القارئ من ذلك أن التحرر يعني الحب والجنس فقط؛ إذ إن التحرر عندها يعني الوعي والثقافة والأخلاق فإلى جانب المرأة العاشقة حضرت صورة المرأة المثقفة التي خرجت إلى المدرسة والجامعة نازعت الرجل على حقوقها في التعليم والتعلم نازعته في وضع القرار وصياغة الأحكام.

الكتابة بصورة ما أقامت جدليتها على مبدأ المقارنة والندية؛ فالمرأة حينما تستقل ذاتيا كالرجل تستطيع أن تكون له نداً في الحياة، وقتئذ تسقط كل الاتهامات للمرأة بالنقص والضعف والعجر، التي كانت نتيجة الكبت والظلم الواقع عليها ودليلها في ذلك أنها انقشعت على أعتاب ثورة المرأة وتحررها، ففي رواية السقوط بالشمس كانت المرأة تصرح بعشقها دون خوف، غير مبالية بالعادات والتقاليد أو الدين، ولا تحسب حسابا للمجتمع، و لا وجود للمرأة التقليدية مستلبة الحقوق التي يسيرها الرجل كيفما شاء فالأدب النسوي يحارب هذه الصورة النمطية للمرأة ويدعو إلى تحرر المرأة، واللافت في هذه الرواية أن البطلة كان يحركها عشقها فلا

سلطة عليها سوى سلطة العشق، الذي كان سببا من أسباب تحررها والخروج من قيود الرجل والمجتمع، "وقد يلاحظ قارئ الرواية العربية المعاصرة بنون النسوة أن الروائيات قد تمردن على تلك الصورة النمطية المتداولة عن المرأة في الكتابات الأدبية والتي تقدمها في صورتها الإيجابية مطيعة صبورة في خدمة الرجل..أو رمزاً للخديعة والكيد والخيانة في صورتها السلبية..وفضَّلن تقديمها كامرأة قوية قادرة على اتخاذ القرارات التي تهم حياتها، عاشقة وليست معشوقة، تجهر بحبها فتقبل من ترتاح له، وتبعد وترفض من لا يساير هواها من الرجال أبا كان، أخاً أو زوجاً.. بل تعلن استعدادها للجري وراء الحبيب والظفر به مهما كلفها ذلك، تتحدث عن الجنس بحرية، بجرأة أكثر مما تحدث عنه الرجال الذين غالباً ما اختاروا –عند الحديث عن الجنس-التلميح على التصريح"[1].

الخلاصة:

جاء هذا الفصل بعنوان صورة المرأة في رواية السقوط في الشمس للكاتبة سناء الشعلان وقد وقفت الباحثة في هذا الفصل عند مصطلح الصورة وأهميته ووظائفة وأقسامه الفنية في العمل الروائي ثم عرضت لنا الباحثة الصورة التي رسمتها الكاتبة للمرأة في الرواية والتي جاءت على عدة أقسام وهي:صورة المرأة التقليدية المحافظة، صورة المرأة العاملة والمناضلة، صورة المرأة المثقفة والواعية سياسيا، صورة المرأة السيئة، صورة المرأة السياسية، صورة المرأة المتمردة، صورة المرأة العاشقة، صورة المرأة الرمز، صورة المرأة الأم، صورة المرأة الزوجة، صورة المرأة الفلسطينية، وختمت الباحثة هذا الفصل بالحديث عن صورة المرأة حسب التقسييم الجغرافي.

[1] https//m.ahewar.org/s.asp?aid=481075&r=0

الفصل الثاني

صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس

الفصل الثاني

صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس

الرجل هو ذلك الكيان القوي ذو الحضور اللافت في مجالات الأدب كافة، إن سلبا وإن إيجابا، سواء إن أكان كاتباً أم صورة أم موضوعاً للكتابة؛ فهناك الرجل الشاعر والرجل الكاتب والناقد الذي يضع بصماته في مختلف أشكال الإبداع الأدبي، فتراه يشِّكل الأدب وفق أهوائه وأفكاره ويضع صورة للرجل وفق سطوته وأفكاره الذكورية، في المقابل يصنع صورة المرأة كما تملي عليه سلطته الذكورية، لذلك شغلت صورة الرجل الأعمال الأدبية المختلفة، في كتابات النساء والرجال وقد ظهر فيها بصورته النمطية أو صورته المتحررة، فأشغلت مكانته في المجتمع الأدباء والمفكرين وصوروه بصور مختلفة، فمنهم من وقف إلى جانب الرجل ودعمه وزاد من مكانته، ومنهم من حارب سطوة الرجل وسيطرته في المجتمع، فالأدب لا يمكن أن يكون نسائياً أو ذكورياَ غير أن أديبا سواء أكان رجلا أم امرأة سيكون أقدر من غيره على تصوير جوانب الحياة بحكم معرفته الحميمية أو الخاصة بها[1].

وفي القرن التاسع عشر ظهر مصطلح النسوية كحركة اجتماعية تتمثل في حقوق المرأة وذاتها ودورها في المجتمع[2] وبقي هذا المصطلح محط إشكال لعدم قدرة الحقل الدلالي على ضبطه بشكل دقيق[3] أما في عصرنا الحديث ظهر الأدب النسوي الذي صبّ جلّ اهتمامه على محاربة الرجل والحطّ من قيمته وتحطيم صورته، وهذا أمر طارئ في الأدب النسوي؛ إذ يجعل الرجل موضوعاً للكتابة بعد أن كان هو الكاتب الذي يشكِّل الأدب وفق أهوائه ورغباته، وقد رسمت المرأة للرجل في روايتها صورتين: صورة إيجابية وأخرى سلبية، لكن قبل الخوض في الحديث عن صورة الرجل لا بد وأن نتطرق إلى الحديث عن الأدب النسوي من حيث صفاته وأهدافه وأثره في صورة الرجل.

فالأدب النسوي هو أدب خاص بكتابات المرأة والمضامين التي تناولتها هذه الكتابات، وفي العصر الحديث ظهر الكثير من الأدبيات اللاتي كتبن في أشكال الأدب كافة؛ وهناك أسس يجب أن تتوفر في المرأة حتى تصبح كاتبة وناقدة؛ فالمرأة الكاتبة يجب أن تكون واعية سياسياً واجتماعياً حتى تملك القدرة التي تؤهلها للدفاع عن قضاياها في المجتمع وإبراز مشكلاتها، بما فيها صورة الرجل وجدليته مع المرأة في ذلك المجتمع، كما يجب عليها أن تمتلك مقومات

---

[1] أبو-نضال، نزيه:تمرد الأنثى، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤، ص١١.

[2] ينظر: الخولي، يمنى طريف: النسوية وفلسفة العلم، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧، ص١١.

[3] السيف، خالد عبد العزيز: إشكالية المصطلح النسوي دراسة دلالية المملكة العربية السعودية، الدار العربية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٦، ص٤٢.

الإبداع والكتابة إلى جانب وعيها التام بمحيطها لتخلق عملاً إبداعياً يعمل على تغيير أفكار واتجاهات المجتمع الظالمة التي ترفع من قدر الرجل على حساب المرأة.

وقد وقف الكثير من النقاد حول مصطلح الأدب النسوي وعرفه الكثير منهم كل حسب رأيه ودراسته؛ فكتابات المرأة تعبر عن أفكار المرأة وطبيعتها ومشاعرها وقضاياها بصورة دقيقة أكثر، وتنصف المرأة أكثر من كتابات الرجل عن المرأة؛ لأن المرأة تفهم نفسها أكثر من أن يكتب عنها رجل، وترسم صورة جديدة للرجل مختلفة تماماً عن الصورة التي رسمها الرجل لنفسه في كتاباته.

وهناك من وصف الأدب النسوي بأنه "مصطلح جديد، لافت للنظر، له طبيعة جمالية تنبعث من خصوصية حياة المرأة الذاتية وعلاقاتها الاجتماعية؛ فهي مع هذا المصطلح خرجت من عصر الحريم المحجوب إلى عصر القلم باحثة عن الحرية، فقد كانت تعيش في الحريم حياة ترسمها صور الغانيات والجواري، والرجل لا يراها إلا متعة له يبعدها عن ضياء العلم والحرية، ويحيطها بسياج كثيف من الجهل والجمود، فلا يظنها أهلاً لأي حق من حقوق الإنسان، فإذا بها تبدأ طريقها إلى المدرسة، فإذا مضت في خطواتها تواجه الحياة لم تلبث الى أن تصطدم بكثير من المتاعب والآلام والأحداث والأزمات، وإذا بها تجد قلمها لتصور حياتها وآلامها"[1]؛ فكتابة المرأة وتصويرها لواقعها وتجسيد معاناتها بالكتابة، كانت في البداية لتحطيم الصورة النمطية للرجل، وخطوة للتخلص من سطوته، وخلق صورة جديدة له تخرجه من تميزه عن المرأة لتجعله مساويا لها في المكانة.

فكتابة المرأة تُعدَّ تهديداً لمكانة الرجل ولصورته النمطية السائدة في الأدب، بل ثورة نسوية لتحطيم أسطورة الرجل، الذي يتفرد بالمكانة والتميز، الرجل الذي يقدسه المجتمع في حين يلقي بكل أخطائه ومشكلاته على عاتق المرأة، لذلك أظهر الأدب النسوي لنا صورة جديدة تضع الرجل في مكانه الصحيح، وتظهر تلك الصورة السلبية والنماذج السيئة التي أخفاها المجتمع وأبرز الرجل بطلاً وأسطورة لا يعيبه شيء في حين حاسب المرأة على أتفه الأشياء وبالغ في تصوير أخطائها.

لقد حرر الأدب النسوي المرأة من عبودية الرجل والمجتمع، ونقلها من جدران البيت وتقاليد العائلة وقوانينها الصارمة، إلى عالم حرٍّ هي السيدة فيه وهي صاحبة القرار التي تطلق أحكامها على الرجل وتحاصره بعد أن كان في كتابته هو صاحب القرار والناقد الدائم للمرأة وأخطائها،

[1] مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والإبداع ، الأردن :عالم الكتب الحديث ٢٠٠٨م ،ص٦٦.

فكان دائما يوجه أصابع الاتهام للمرأة ويحملها مشاكل المجتمع، أصبحت المرأة هي التي تهاجمه بكتاباتها، ليتقبل هو الأمر مرغماً من خلال واقع جديد فرضته عليه مكرها.

لقد تعددت التعريفات لمصطلح الكتابة النسوية فهناك من جعلها تقتصر على النساء فقط، وهناك من قال إن الأدب النسوي هو الأدب الذي يتناول قضايا المرأة المختلفة، سواء كان الكاتب رجلا أم امرأة، " إن الرواية لا تكون نسوية لمجرد أن كاتبتها امرأة، بل لا بد للرواية التي تحمل صفة نسوية أن تكون معينة بصورة جزئية أو كلية بطرح قضية المرأة بالمعنى الجنسوي أو الجندري، وليس تصنيفاً طبيعياً لوجود شخصيات من الرجال أو النساء داخل النص الروائي، ومن هنا فإن الكثير من الإبداع الروائي الذي كتبته المرأة لا يندرج تحت ما يسمى بالرواية النسوية "[1] وقد اختلف النقاد في فهمهم وتعريفهم للأدب النسوي، وانقسموا إلى ثلاثة آراء؛ فمنهم من قال هي الأعمال التي تجعل موضوع المرأة أساسياً في السرد، ومنهم من قال إن أيّ عمل أدبي انتجته امرأة هو أدب نسوي، وآخرون ذهبوا إلى القول إنه أي عمل يتناول قضية المرأة بغض النظر عن جنس المؤلف أكان رجلاً أم امرأة.

بدأت الأنظار في العصر الحديث تلتفت باهتمام إلى كتابات المرأة خصوصاً في مجال الرواية، إذ شهد العديد من الروائيات الصاعدات في دول عربية مختلفة، "يمكن الحديث عن اتجاهات نسوية لها رمزيتها في الثقافة العربية، كأن نشير من خلال ذلك إلى مجموعة أسماء جريئة في طرحها الثقافي النسوي مثل: كوليت خوري وليلى عسيران في لبنان، ونوال السعداوي في مصر، وغادة السمان في سوريا، وفاطمة المرنيسي في المغرب، وسحر خليفة في فلسطين، وليلى العثمان في الكويت..."[2]فهذه الأسماء أسهمت في نقل الأدب نقلة نوعية وظهور الفكر النسوي الذي يدعو إلى التحرر.

وقد كثر الجدل حول هذا الأدب، وانقسم الأدباء والأديبات بين مؤيد ومعارض للأدب النسوي، كما كثر المحللون والناقدون لأعمال المرأة الأدبية، وقد كان أصل الخلاف على قبول أو رفض الأدب النسوي يتمثل في عدم وجود اختلاف في الجماليات والأساليب الفنية بين كتابة الرجل والمرأة فالاختلاف كان فقط في المضامين إذ تناولت المرأة مواضيع ومشكلات تخصها على عكس الرجل الذي كتب في مشاكل المجتمع بشكل عام من ضمنه المرأة، فلو قارنا أعمال النساء مع الرجال فإننا لن نجد اختلافاً في المعايير الفنية والجمالية للأدب سواء أكان شعراً أم رواية؛ فمقومات الشعر والرواية عند الرجال هي نفسها، أما الفريق المؤيد يقول إن لكتابات

---

[1] أبو نضال ، نزيه: تمرد الأنثى ، بيروت :المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٤م، ص١١.
[2] مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والإبداع ،ص٣.

المرأة لمسات فنية وجماليات سردية خاصة في الكتابة بسبب اختلاف طرحها واختلاف أفكارها ومواضيعها عن الرجل.

الفريق المعارض لمصطلح الأدب النسائي

ينطلق أصحاب هذا الرأي من رفضهم لتقسيم الأدب، فالأدب بأشكاله الشعرية والنثرية المختلفة هو فن واحد سواء أكتبته امرأة أم رجل، وأصحاب هذا الرأي يرون في تقسيم الأدب حسب جنس كاتبه انتقاص من مكانة المرأة والتمييز بينها وبين الرجل، فالمرأة دائما تطالب بالمساواة وعدم تفريقها عن الرجل، وبتقسيم الأدب نفرق بين الرجل والمرأة، "الأدب ليس له جنس، كما أن المشاعر الإنسانية ليس لها خريطة ولا توجد تفرقة بين ما يكتبه الرجل أو المرأة، وإنما مناط التفرقة يكمن في هل العمل يدخل في عداد الإبداع الأدبي أو لا "[1] فالأدب واحد والمعيار الذي نحكم به على الأدب هو الجودة الفنية، فلا فرق بين كتابات المرأة والرجل إلا من ناحية جودتها الفنية؛ لذلك لا يوجد "مفارقة بين الروائي والروائية إلا من ناحية الظروف الاجتماعية فالمرأة العربية من وجهة نظره إمكانية كالرجل، ليس كقاصة أو روائية فحسب، بل في أي مجال وعلى أي مستوى.. إن أعمال (غادة السمان)، (عروسية النالوتي)، (سحر خليفة)، (ليانة بدر)، (آسيا جبار) وسواهن تقف على قدم المساواة مع أعمال الكاتب العربي الذكر، والفروق الروائية التي يمكن أن تلاحظ مثلاً بين (منيف) و (محفوظ) أو بين (سحر خليفة) و(وكوليت خوري)"[2] فالاختلاف الذي نلاحظه بين الروائيين في كتاباتهم هو نفس الاختلاف الذي يمكن أن نلاحظه بين الروائيات، فالمرأة لا تختلف إلا من ناحية ظروفها ومشكلاتها الاجتماعية، لا تختلف في معايير الكتابة والجودة الفنية.

وهناك العديد من الأسباب التي تدفع المعارضين للأدب النسائي إلى إنكارهم لهذا التقسيم وهو أن كتابة المرأة كانت عبارة عن "نوع من التمرد، أو ممارسة للحرية في أزهى صورها، حيث إن إحساس المرأة المبدعة بتفردها ووجودها، يمثل نوعا من الضمير العام، الذي يجاوز بفكره التحرر من قيد الرجل، إلى تحرر من قيد الحياة كلها: الواقع، الوطن، النفس..."[3] فالرجل في المجتمعات العربية يعاني كما المرأة؛ فإذا كانت المرأة تعاني من سطوة الرجل وظلم المجتمع، فالرجل يحمل هم الوطن ويعاني سياسيا إذ إن هناك الكثير من الأسرى في السجون،

---

[1] مناصرة ،حسين: النسوية في الثقافة والابداع ١١٩.

[2] المصدر نفسه ، ص٨٨.

[3] شمس الدين ، موسى: تأملات في إبداعات الكاتبة العربية ،القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م ،ص١٥.

كما سقط كثيرٌ منهم شهداء في مواجهة الاحتلال، حتى أن الرجل يقف في وجه تكميم الأفواه والحكومات الظالمة وحده دون المرأة، نستنتج أن كتابة المرأة تشابهت مع كتابات الرجل في المضمون وعالجت نفس القضايا التي عالجتها كتابات الرجل، فكلاهما يعيش في نفس المجتمع ويواجهان الكثير من المشاكل المشتركة التي لا تميز الرجل عن المرأة.

صحيح أنّ المرأة قدمت في سبيل الوطن، لكن الرجل حمل الهمّ الأكبر على عاتقه، أما من الناحية الاجتماعية فالرجل يعاني من إعالة أسرته إذ يعايش الفقر، والبطالة، فإذا كانت المرأة تصور همومها الاجتماعية والوطنية والسياسية فالرجل أيضا يحمل نفس الهموم – على نطاق أوسع من المرأة -يجسدها في كتاباته، فهذا التشابه في القضايا والهموم يقف عائقاً أمام تمييز الأدب النسائي عن أدب الرجال.

لقد كان هناك كاتبات نساء وقفن ضد تقسيم الأدب وضد مصطلح الأدب النسائي، فهو من وجهة نظرهن تمييز بين الرجل والمرأة، وهذا التقسيم يحط من مكانة المرأة، ويقف عائقا أمام تحقيق الهدف من كتاباتهن التي تهدف إلى إعلاء شأن المرأة والتخلص من النظرة الدونية لها في المجتمع، وجعلها متساوية مع الرجل في كل شيء، فمن الكاتبات اللواتي رفضن هذا التقسيم كانت لطيفة الزيات التي ترفض أن "تدرج في قائمة الأدب النسائي خوفاً من احتقار ما تكتبه المرأة من قِبَل الوعي النقدي الذكوري؛ حيث كانت الثقافة الذكورية ترى كتابة المرأة انعكاساً سطحياً وعاطفياً لتجربتها الأنثوية التي لا تلامس هموم الرجل أو المؤسسة المهنية الوطنية لضيق تجربة المرأة وانعدام خبرتها، وكان العائق الأول والرئيس الذي يحدّ من فاعلية المرأة هو أنوثتها التي حقرت إبداعها من جهة وعوقته من جهة أخرى "[1]؛ فرفضها لمصطلح الأدب النسائي كان فقط لمجرد الخوف من سهام النقد الذكورية التي سوف تسلط على الكتابات النساء، وتتهمها بالسطحية وعدم ملامستها للواقع ولقضايا الوطن، وأن مشكلات النساء لا ترقى إلى الهمّ الوطني الذي يكتب عنه الرجال.

أيضا الكاتبة (ريتا عوض) التي وقفت معارضة لمصطلح الأدب النسائي الذي يهدم الجهود التي بذلتها المرأة لتصل إلى مرحلة المساواة بينها وبين الرجل، "فالمرأة حققت مساواتها بالرجل في الحرية والاستقلالية والتعليم والعمل المنتج مما حقق لها إنسانيتها في المجتمع، وبذلك يصبح التوجه للحديث عما يسمى بالأدب النسائي يشير إلى أن إبداع المرأة ما يزال يطرح كظاهرة استثنائية أو غير عادية أو حتى لا طبيعية بينما من المفترض بعد مرور زمن لا يعد قصيراً على اقتحام المرأة عالم الإبداع وإنجازاتها فيه أن ما كان ظاهرة غريبة أصبح أمراً اعتيادياً فإبداع

[1] مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والابداع ،ص٨٧.

المرأة كإبداع الرجل، صيغة إنسانية للتحاور مع النفس والحياة والوجود من خلال اللغة والتقاليد الأدبية والتراث القومي، هذا التوجه يشير أيضاً بأن المرأة لم تقتنع تمام الاقتناع بمساواتها بالرجل وما تزال تطرح نفسها وإنجازاتها من وجهة نظر جنسية تكشف إقراراً –ولو ضمنياً- بدونيتها ولم تصل إلى تحقيق القناعة بإنسانيتها المتجاوزة الانفصام الجنسي والمتعالية عليه "[1] فهذا التقسيم للأدب نتج عنه عدم مساواة المرأة مع الرجل، إذ يجعله أقل منه مكانة حتى في كتاباتها.

أما الكاتبة سلمى الجيوسي فترى أن " تقسيم الأدب إلى رجالي ونسائي تقسيماً خاطئاً ومعوجاً؛ لأنه لا يحافظ على استقامة الأمور من وجهة نظرها؛ لأن القضية يجب ألا تؤخذ من منظور جنس الكاتب، بل تؤخذ من منظور الأدب الجيد والأدب الرديء في المضمون والموهبة المبدعة سواء أكان الكاتب أديباً أم أديبة، ويؤكد فكرتها هذه (سميح سرحان) و (سكينة فؤاد)"[2] فسلمى ترى أن المعيار الامثل والمنصف للحكم على جودة العمل الأدبي يتمثل في الموهبة والإبداع بغض الطرف عن جنس الكاتب، ليس من ناحية جنس الكاتب المنتج لهذا العمل، وأيضاً من خلال مضمون الأدب وما يحمله من أفكار جيدة وأهداف تخدم مصالح المجتمع وتنمي أفكاره وتقوده نحو مستقبل أفضل.

نستنتج من خلال الآراء المعارضة لمفهوم الأدب النسائي، أن سبب معارضتها يتمثل في أنها ترى في هذا التقسيم الجائر القائم على جنس الكاتب سعيا إلى التفريق بين المرأة والرجل، وبالتالي تقديم الرجل عليها، في حين أن الهدف من الأدب هو إلغاء هذا التفريق، كما أن هذه المسميات وغيرها تضر بالأدب وتلغي كثيرا من قواعده في تعامله مع النصوص الأدبية المختلفة؛ إذ لا يلتفت النقد في تعامله مع النصوص الى جنس الكاتب بل يحتكم إلى جودة النص وبلاغته.

الفريق المؤيد لمصطلح الأدب النسائي

في المقابل كان هناك فريق أيَّد تقسيم الأدب حسب جنس الكاتب، وقد كان لها قول ووجهات نظر في ذلك، يدعو أصحاب هذا الرأي إلى استقلالية المرأة، فهم يرون في كتابات المرأة جماليات خاصة تتفرد بها عن كتابات الرجل لا يمكن أن نساويها بكتابات الرجل ونمزجها معها في بوتقة واحدة بل لا بد من التفريق بين الكتابتين، ومن أبرز هؤلاء كانت (حمدة خميس) التي تقول "إن أدب المرأة – واقعاً ومصطلحاً -يصحح مفهوم الأدب الإنساني الذي يؤكد على قيمة

[1] مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والابداع ، ص ٨٨.
[2] المصدر السابق، ص٨٩.

الإنسان وقدرته على تحقيق ذاته. كما أنه يضيف إلى الأدب السائد نكهة مغايرة ولغة وليدة ويغنيه ويتكامل معه "[1] فكتابات النساء من وجهة نظرها تغني الأدب وتضيف إليه شيئا مختلفاً عن أسلوب الرجل في الكتابة؛ فللمرأة لمساتها الخاصة ومشاعر تختلف عن الرجل في التعبير عنها.

وكان من الكاتبات اللواتي شجعن على اطلاق مصطلح الأدب النسائي (بثينة شعبان) فهي ترى أن الأدب النسائي" يعبر عن مدى وعي المرأة لأبعاد العلاقات الاجتماعية وجذورها، والمغزى البعيد للحدث السياسي ونتائجه الممكنة وفهم ما أسهمت به الحساسية النسائية من إغناء للبعد الاجتماعي والسياسي والموضوعي للعمل الأدبي، يجعل ولا شك من هذه الصفة (نسائي) صفة قيمة، يحق للكاتبات أن يفخرن بها بدلاً من أن يخشينها ويتجنبنها "[2]فهي ترى في الأدب النسائي انجازاً قيّماً حققته المرأة، فهي تشجع النساء على الفخر بهذا الإنجاز الذي يرفع من قيمة عملهن وكتاباتهن والحفاظ عليه من أن يختلط بكتابات الرجل التي تفتقد إلى مثل تلك السمات.

أما من الأدباء الرجال فنجد (ميخائيل عيد) الذي يساند ويؤيد تقسيم الأدب الذي يجعل للنساء أدباً خاصاً يميزهن عن الرجال، يقول: " من يستطيع أن ينكر أن هناك فروقاً في الأدب.... وما الضير في أن يلتقي الأدب النسائي في العموميات مع أدب الرجال، ويختلف عنه من حيث بعض الخصوصيات التي تخص بها النساء دون الرجال " فهو يرى أن أدب النساء يلتقي مع أدب الرجال بالشكل والمعايير الفنية العامة ويختلف من ناحية المضمون فمواضيع النساء تختلف عن الرجال.

ومنهم أيضا (توفيق بكار) الذي يعدُّ من المؤيدين للأدب النسائي، فهو يرى أن الرواية النسائية " فيها طرافة من حيث إنها تلقي على واقعنا أضواء جديدة، فكأننا أصبحنا مع هذا الإبداع ننظر إلى أنفسنا ومجتمعنا وتاريخنا بعينين اثنتين، لا بعين واحدة ونعيها بعقلين وندركها بحسين "[3] فكتابات النساء تجعلنا نرى مشاكل المجتمع وقضايا الوطن من زاوية أخرى تختلف عن نظرة الرجل، الذي ترى الأحداث وتصورها من زاوية مختلفة قد تغفل عن أشياء مهمة من تفاصيل المجتمع.

---

[1] مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والابداع، ص٩٣.

[2] المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

[3] حامي، خديجة: سرد النساء العربي بين القضية والتشكيل: روايات فضيلة الفاروق نموذجا ،رسالة ماجستير منشورة ، الجزائر: جامعة مولود معمري ٢٠١٣م ،ص١٨.

ويرى حسين مناصرة أن المرأة "تسعى إلى أن تكون متمردة على الرؤى الذكورية وهيمنتهم على العالم، وعلى أساليبهم المألوفة والمهيمنة في كتاباتهم"[1] فالمرأة تحاول أن تخلق عالماً جديداً من الكتابة بمفاهيم ورؤى مغايرة للرجل لتصل إلى التقليل من الهيمنة الذكورية على الأدب وبذلك تستطيع أن توصل نظرتها وأفكارها للمجتمع وللمرأة نفسها.

ومن خلال هذه الآراء المؤيدة لتجنيس الأدب نجد أن شريحة عريضة من الأدباء الرجال والنساء على حد سواء يؤيدون فكرة تخصيص كتابات النساء وحصرها في أدب خاص هو الأدب النسائي، وحجتهم في ذلك أنهم يرون فيها جديداً يضاف إلى الأدب، ونظرة ورؤية مغايرة عن الرجل تعمل على إيصال الفكرة للقارئ بطريقة تختلف عن طريقة الرجل، كما يرون أن المرأة تستخدم الجماليات والصور الفنية بأسلوب تختلف فيه عن الرجل.

خصوصية الكتابة عند المرأة:

يرى فريق من الناقدين والأدباء أن كتابات المرأة أضافت أساليب ومواضيع جديدة للأدب، فالرواية النسوية اختلفت عن الرواية الذكورية، لسعيها في هدم قيم الذكورة[2] كما أثارت قضايا لم يتحدث عنها الرجل في كتاباته، وقد كان لها سهمة واضحة في التأثير في نظرة المجتمع تجاه المرأة ومكانتها، فهي لم تكن مجرد إبداع فني بل كانت أدباً هادفاً يدعم المرأة ويقودها نحو التحرر، فكتابات المرأة أضفت نوعاً من الخصوصية والاختلاف عن باقي الكتابات، فاختلاف سمات المرأة وطريقة تفكيرها ونظرتها لمشاكل المجتمع من زاوية مختلفة عن الرجل، أسهمت في خلق عمل أدبي بسمات جديدة ومضامين مختلفة، فهناك اختلافات عدة بين الرجل والمرأة أدت إلى التأثير في شكل الأدب ومن هذه الاختلافات: [3]

- البنية النفسية للمرأة التي تختلف عن البنية النفسية للرجل، مما يفرض وضعاً نفسياً مغايراً في الكتابة النسوية.
- البنية الجسدية الإنطوائية المفروضة على المرأة تختلف عن البنية الاجتماعية الذكورية المهيمنة.

---

[1] مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والإبداع ، ص٦٦.
[2] ينظر:حسين، طه:المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨١، ص١٢.
[3] مناصرة ،حسين: النسوية في الثقافة والإبداع ، ص١١١.

- اختلاف خيال المرأة عن خيال الرجل، مما يستدعي اختلاف الذاكرة النسوية عن الذاكرة الذكورية

لقد أسهمت هذه الاختلافات بشكل كبير في التأثير في شكل الأدب من حيث الأساليب الفنية والشخصيات والمشاعر ومدى توظيف الخيال في أعمالهم الفنية، وأيضا أسهم في خلق موضوعات جديدة في الأدب، حتى أن الموضوعات التي كتب عنها الرجال كتبت عنها المرأة بطريقة مختلفة مغايرة للرجل.

فالرجل تحدث عن المرأة في كتاباته بشكل كبير، ولكن عندما تحدثت المرأة عن نفسها كان أثر كتاباتها كبيرا مقارنة بكتابات الرجل عنها، فالمرأة أصدق في التعبير عن مشاعرها، ونجد الكثير من النقاد والأدباء وجهوا نقدهم لكتابات المرأة واتهموها بالسلبية فالمرأة تناقش فقط قضاياها وتعزل مشكلاتها عن المجتمع، إن" إلحاح الرواية النسوية الشديد على معالجة الوضع النوعي الخاص للمرأة منعزلاً عن قضايا المجتمع والقبول بالمصير العام والاكتفاء بالاحتجاج السلبي "[1]

لقد كان نقداً لمضامين العمل الأدبي للمرأة؛ لأنها حصرت عملها الأدبي في موضوعات تخص المرأة، أيضا كان هناك بعض النقاد الذين ذهبوا إلى نقد كتابات المرأة من الناحية اللغوية، نجد عبد الله الغذامي في كتابه اللغة والمرأة يرى أن المرأة برغم كتاباتها في العصر الحديث ودخولها عالم اللغة إلا أنها ما زالت غير قادرة على تأنيث اللغة ومواكبة الرجل في إبداعه فمن وجهة نظره ما زال الرجل هو المسيطر والأكثر إبداعا في اللغة، "فالمرأة احتاجت وتحتاج إلى وعي خارق بشروط اللغة وقيودها لكي تتمكن من إحلال (الأنوثة)بإزاء (الفحولة)"[2] لذلك نرى الرجل بالنسبة للنقاد هو صاحب اللغة الأول وهو من وضع أسسها ولكي تتغلب المرأة على الرجل أو تجاريه فيها يجب عليها أن تخلق لغتها الخاصة وأن تكون على دراية ومعرفة باللغة كما الرجل حتى تستطيع أن تجاريه في كتاباته، بل يجب عليها في بعض الأحيان أن تكون أكثر إبداعا من الرجل كي تتمكن من وضع ذكورته ورفع أنوثتها في اللغة والكتابة.

وهناك من النقاد من وصف الأدب النسائي بأنه أدب حزين؛ لأن النساء في بداية كتابتهن كتبن عن ظلم المرأة ومعاناتها في المجتمع وعزلتها داخل البيت وتحدثن عن السلطة الأبوية وعن سلطة الزوج والأخ والسلطة الذكورية بشكل عام في مجتمع لا

[1] المناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والإبداع ، ص١١٥.
[2] الغذامي، عبد الله: المرأة واللغة ،بيروت: المركز الثقافي العربي ٢٠٠٦م، ص ١١-١٢.

يعترف إلا بالرجل؛ فهناك مواقف للنقاد تقر بخصوصية كتابات المرأة، في مقابل آخرين لا يقرون بتلك الخصوصية نظراً لقلة الأعمال الأدبية النسائية إذا ما قورنت بإنتاج الرجال، فالمرأة بحاجة إلى الكثير من الوقت حتى تؤنث اللغة وتوازي الرجل في لغته "وإنه لمن الجلي أن تأنيث اللغة أو في الأقل أنسنتها لن تتحقق إلا بعد أن تكتنز الذاكرة الثقافية بالمعنى المؤنث والأنوثة، وهو شرط لم يتحقق بعد ولكن المرأة الجديدة تسير باتجاهه بوعي واضح وإبداعية واثقة "[1].

صورة الرجل في روايات النساء:

تعددت صورة الرجل في روايات النساء وتنوعت بين سلبية وإيجابية،فالمرأة الكاتبة تسعى في كتابتها إلى إنهاء سطوة الرجل ووصايته[2] ولكن الصورة السائدة في الغالب كانت الصورة السلبية وهناك عوامل عدة كانت أساساً في تشكيل هذه الصورة، ويأتي في مقدمتها العامل الجنسي؛ إذ لا نجد كاتبة إلا تحدثت عن شخصية الرجل الشهواني وحول نظرة الرجل للمرأة على أنها وجدت للمتعة فقط، كما تحدثت الروائيات عن مشاكل الرجل الجنسية من شذوذ واغتصاب وتعدد العلاقات الجنسية، أما العامل الثاني الذي أسهم في إبراز صورة الرجل السلبية هو الظلم والقسوة التي يمارسها الرجل في المجتمعات العربية وفرض سيطرته الذكورية دون رادع؛ فله الحق في فعل ما يشاء وله الحق في التحكم بالمرأة وتقييدها، وإطلاق الأحكام عليها ومحاسبتها دون محاسبة نفسه على أخطائه التي شوهت الأسرة والمجتمع، أما العامل الثالث فهو الخداع وعدم الثقة؛ ففي الروايات النسائية برزت شخصية الرجل الكاذب؛ الرجل الذي تتصف كل علاقاته مع النساء بالكذب وانعدام الثقة؛ فهو يتنقل من امرأة إلى أخرى مستعينا بالكذب والخداع.

أما الصورة الإيجابية للرجل فهي صورة قائمة على الصفات الفطرية في الرجل من شهامة وأخلاق وشجاعة وإنسانية قائمة على مناصرة المظلوم سواء أكان المظلوم امرأة أم رجل، كما أن هناك بعض الرجال الذين يقفون إلى جانب المرأة يشعرون بمعاناتها ويدعون إلى تحررها؛ لكنهم قلة في مجتمعاتنا العربية، ونحن من خلال هذه العوامل نعرض أهم صور الرجل في الروايات النسائية، ثم نبحث فيها ونربطها مع صورة

---

[1] الغذامي، عبد الله: المرأة واللغة ، ص٢٣٥.

[2] ينظر:مناصرة، حسين:المرأة وعلاقتها بالاخر في الرواية العربية الفلسطينية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٢، ص٤٩.

الرجل التي وردت في رواية (السقوط في الشمس) ونبحث إذا ما كانت تشابهت صورة الرجل في رواية (السقوط في الشمس) مع الروايات النسائية، وهل ركزت رواية (السقوط في الشمس) على الصورة السلبية للرجل أم الصورة الإيجابية وما هي الصور التي لم تذكرها الروائية لم تقف الرواية عليها.

صورة الرجل الأب:

كان لا بد للروائيات من رسم صورة الرجل الأب في رواياتهن لتحقيق أهدافهن في التحرر، ففي روايات النساء تجد صورة سائدة للأب المسيطر الظالم لابنته وقد تمثلت السلطة الذكورية بداية في الأب والأخ وذلك قبل الزوج ، فكان هدف المرأة التخلص من السلطة الأبوية التي تحيط المرأة بالقيود بداية من منعها من التعليم، وتقييد حركتها وحبسها في البيت، وعدم السماح لها بالخروج إلا بوجود مرافق لها، وكان الأب في المجتمعات العربية مبغضا للبنات يميز بين الذكر والأنثى؛ بل يمكن أن يصل به الأمر إلى تحريض ابنه على ظلم أخته والتحكم فيها، وهذه كانت صورة سلبية للأب في الروايات.

لكن في المقابل من هذه الصور السلبية المشؤومة للرجل، نجد صورة أخرى إيجابية تمثل الحنان والعطف والسند في الحياة؛ ففي بعض الروايات كان الأب مصدر قوة للمرأة ومصدر قوة للأسرة وركيزة مهمة من ركائز المجتمع التي تسهم في بنائه وتقدمه، وفي رواية السقوط في الشمس تظهر صورة الأب الإيجابية، الأب الذي يعيل أبناءه ويتعب من أجلهم، وقد صورت الكاتبة حنان الأب الذي لا يقل عن حنان الأم، فحين كانت البطلة (هيليوس) مسافرة للدراسة كانت دائما ما تتذكر أباها طبيته وحنانه وتصور اشتياقها لدفء حضنه تقول: "كيف لا يكون طيباً من يحب الحيوانات ويربيها "[1] فتصف طيبة والدها الكبيرة وسعة صدره الذي اتسع حتى للحيوانات، فلم يكن أبوها متسلطاً ظالماً مقيدا لحريتها، ولم ينظر إليها نظرة المرأة الضعيفة التي تجلب العار بل أعطاها حريتها وسمح لها بالسفر إلى الخارج للدراسة ففي هذه الصورة نلمح صورة الأب المتحرر من عادات وتقاليد المجتمع التي قيدت المرأة.

وقد ظهرت صورة الأب المهتم بأبنائه الذي يرى عائلته أهم ما يملك ويراهم المصدر الوحيد لسعادته وأحلامه وقد برزت تلك الصورة في شخصية (سعادة)، تقول البطلة تصف حال (سعادة) عندما يتحدث عن أبنائه: " لعل عائلته هي الحاضر السعيد والوحيد

[1] الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس،ص١٩

الذي يسكن حياته، ويسره الحديث عنه " [1]وقد تحدث سعادة عن نجاحات أبنائه مفتخراً بهم، وتحدث عن إخفاقات بعض أبنائه بقلب الأب المشفق الحنون على أبنائه "حدثني عن عائلته وأولاده الذين يفخر بنجاح بعضهم، ويشفق على إحباطات البعض الآخر "[2] فكان سعادة مثال الأب الجيد الذي يرعى أبناءه ويحمل همومهم، فيفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، بخلاف الآباء الذين لا يبالون بأبنائهم.

فرواية السقوط في الشمس صورت الأب بصورة إيجابية، جعلت منه سنداً قوياً لأبنائه وأسرته، فلم نلحظ وجود الصورة السيئة للأب التي غالباً ما تصورها روايات النساء، فأغلب الروايات النسائية صورت الأب بالظالم المتسلط الذي لا يهمه أبناؤه، فصورت الأب الذي يلهث وراء إشباع رغباته، الأب الذي يظلم ابنته ويقلل من شأنها لأنها أنثى، لكن رواية (السقوط في الشمس) رسمت صورة جديدة للأب في الأدب النسوي صورة بعيدة عن الظلم والتسلط الأبوي، صورة متحررة بأفكارها، فالأب في رواية (السقوط في الشمس) لم يقف في وجه أبنائه بل مهد لهم الطريق لينطلقوا ويحققوا أحلامهم، ويعيشوا حياتهم وفق قناعاتهم وزمنهم، لا وفق زمانه وقناعته.

وقد تطرقت الكاتبة إلى سرد معاناة الشخصيات اليتيمة التي عاشت بلا أب وكيف أثر غياب الأب على حياتهم فنجد (شرف) و (هيليوس) قد تشاركا في الحزن والهم نفسه، وعاشا الطفولة القاسية دون أب، فظل غياب الأب يشكل نقصاً في حياتهم ونفسياتهم وفي نظرتهم للحياة، (فهيليوس) يشرح معاناته لحبيبته (أرتميس) ويفسر لها التشابه بينه وبين (شرف) "لقد عشت حياتي يتيماً بلا أب يعطف علي، لطالما حلمت بأب انتظرته في كل ليلة، أنا أعرف معنى أب يهب الحب والحماية، هي يتيمة الأب مثلي تحتاج إلى عطف، أعطيتها كل العطف والحب والحماية بل والمال، كنت مستعداً إلى أن أرعاها طول عمري، كلما نظرت في عينيها رأيت طفولتي القاسية، كلما ساعدتها شعرت بأنني أساعد ذلك الطفل الحائر في عينيها، في طفولتي لم يرعاني أحد، لذا قررت أن أحميها من ذلك الضياع الذي تعيشه " [3].

ويكرر البطل دائماً الحديث عن والده، حتى عندما كبر كان يتمنى عودة أبيه ويتمنى حضن الأب الذي يشعره بالأمان، فكثيرا ما كانت تذكره شرف بالطفل اليتيم الذي بداخله "لا ولكنها تذكرني بطفل عاش يحلم بأب يأتي في ليلة العيد، يحمل الهدايا والألعاب

---

[1] الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس،ص٦٦.
[2] المصدر نفسه، ص٦٦.
[3] المصدر نفسه، ص١٦١.

والملابس الجديدة ويغمره وأخويه بالحب، طفل يتمنى أن يتوسد رأسه إلى صدر أبيه، وينام طويلاً، لأنه يشعر بالأمان "[1] فصورة الأب في رواية السقوط في الشمس تمثل الحب والحنان والقوة، وتمثل فرحة الأطفال بالعيد والهدايا، تمثل الدفء والحنان، باختصار لقد أسقطت الروائية كل الصفات الإيجابية على صورة الأب في روايتها، وجعلت دوره لا يقل مكانة وقداسة عن دور الأم، وقرنت حبه بحب الأم العظيم، فالأب والأم يكملان بعضهما في وظيفتهم تجاه أبنائهم، فحنان الأم وحده لا يكفي، ويبقى الطفل دون أبيه مهزوزاً، ضعيفاً دون سند.

صورة الرجل الزوج:

الزواج هو رباط مقدس يسمو على جميع العلاقات ويتميز بالطهر والعفة، وهو شراكة بين الرجل والمرأة، يتشاركان من خلال ميثاق الزواج للتغلب على مشاق الحياة وتجاوز مصاعبها، لكن في مجتمعاتنا نجد الزواج هو عهد جديد لاستبداد الرجل وتسلطه فبدلاً من أن يكون شراكة تقوم على المودة والعدل تصبح عهدا جديدا لظلم للمرأة، في المقابل على المرأة أن تتحمل ظلم زوجها وأن تخدمه، وإذا أخطأ فهي الملامة والمسبب لذلك الزلل، كما يجب عليها أن تتفانى في تضحيتها وصبرها على زوجها، فظهرت صورة الزوج الذي يتفنن في سطوته وظلمه "من خلال لعب دور السيد الذي يخضع المرأة، ، يستعبدها ويستغلها، ويحولها إلى أداة له، تخدمه، تنجب له الذرية التي تعزز قوته الذكورية فتتحول إلى وعاء لمتعته بشكل أناني لا يراعي حاجاتها ورغباتها "[2]وفي المجتمع العربي لا يحاسب الرجل على خيانته لزوجته بل يوجه اللوم للمرأة عند خيانة زوجها لها، أما إذا خانت المرأة فتجد المجتمع يحاسبها ويعطي زوجها الحق في تركها أو حتى قتلها.

أما الصورة الإيجابية للزوج فهي صورة الزوج المحب الذي يراعي زوجته وأبناءه، يكد ويجتهد في سبيل راحتهم، وهذه الصورة نادرة في الروايات النسائية؛ فالزوج في

[1] الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص٢٠٧.
[2] حجازي ،مصطفى: التخلف الاجتماعي :مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المغرب: المركز الثقافي العربي٢٠٠٥م ، ص٢٠٤.

روايات النساء خائن، ظالم، شاذ، تسيره غرائزه وشهواته، فسيادة الزوج على زوجته ليست هي المطلق الثابت بل هي تتغير حسب الظروف والأحوال[1].

أما في رواية (السقوط في الشمس) فقد أبرزت الكاتبة الصورة الإيجابية للزوج، وزيادة على تلك الصورة الإيجابية للرجل، رسمت صورة الرجل المظلوم لا الظالم، فالبطلة عندما تزوجت شخصاً لا تحبه ظلمته، فقد عاش زوجها معها ثماني عشرة عاماً صابراً على عدم حبها له، متقبلا الظلم من أجل أطفاله، ولم يكن يتمنى شيئاً سوى أن تحبه وتشعره بالحياة الأسرية التي يملؤها الحب والدفء، فهنا نجد صورة مغايرة للصورة العامة في الرواية النسوية؛ فالزوج هو من يصبر ويتحمل لأجل أطفاله وليست المرأة، فالصورة النمطية التي اعتدنا عليها في أن المرأة هي التي تصبر على زوجها الذي يحب امرأة غيرها؛ لكن الروائية حطمت تلك الصورة وجعلت الزوج يصبر ويتحمل حب زوجته لشخص آخر، وهنا تهدف الروائية إلى تغيير نظرة المجتمع التي تطلب من الزوجة تحمل أعباء الحياة وحدها وتحمل سطوة زوجها وخيانته، فجعلت المرأة تلعب دور الرجل، والرجل يؤدي دور المرأة في التفاني والتضحية لأجل أطفاله وأسرته؛ لتخلص المرأة من قيود الزواج وسطوة الزوج؛ ففي الرواية تصف (أرتميس) حياتها مع زوجها قائلة: " لطالما سببت له الحزن، لقد أرادني حبيبة، فلم أعطه غير زوجة بليدة وحفنة من الأبناء، وحياة هادئة ورتيبة إلى درجة الغثيان "[2] فلم تكن تبالي بمشاعر زوجها، وظل قلبها ينبض بحب (هيليوس)، فزوج (أرتميس) يجسد صورة الزوج المطحون المظلوم، الذي يضحي من أجل أبنائه.

ونجد صورة أخرى للزوج في رواية (السقوط في الشمس) تجسدت في شخصية سعادة، الذي كان صورة الزوج المحب لزوجته الذي لا يستطيع الاستغناء عنها، فهو يقدر أهمية وجودها في حياته "أما زوجته فهي كنزه في هذه الحياة " [3] وعلى الرغم من حب سعادة لزوجته إلا أن شخصيته لا تخلو من صفات الزوج الذي يحب إثبات رجولته وإصدار الأوامر على زوجته عند طلب الأشياء فهو " يتعمد أن يلقي طلباته بنبرة آمرة ليثبت رجولته في ذاك البيت "[4] وعلى الرغم من ذلك يظل سعادة يمثل الزوج المحب الحنون الذي لا يهمل زوجته ولا يقلل من قدرها، ومن الصور السلبية للزوج صورة (هيليوس) الذي كان متزوجاً من امرأة إيطالية وقد طلقها؛ لأنها لم تحب قطته بل

---

[1] السعداوي، نوال:توأم السلطة والجنس، ص١٩٥.
[2] الرواية، ص١٠.
[3] المصدر نفسه، ص٦٦.
[4] المصدر نفسه، ص٦٩.

كرهها، ف (هيليوس) يريد أن يغصب زوجته على حب قطته بل ويعاقبها فيتركها لأجل قطة، ف(هيليوس) يمثل الزوج الأناني الذي يحب نفسه وأشياءه ويريد أن يفرض على زوجته أن تحب ما يحب، فأرتميس تسأل (هيليوس) هل كان يحب زوجته ولماذا طلقها " ألم تحبها ؟!

أجبتني بنبرة بدت صادقة: أبداً..

-لماذا

قلت ببرود وابتسامة تحمل آلاف المعاني: لأنها لم تحب قطتي "[1].

ونجد صورة أخرى للزوج تمثلت في زوج أسرار الذي تزوجته شفقة عليه، فزوجها كان عاملاً عندها في مستنبتها وكان يحبها، وبسبب حبه لها سخر العمال منه وفي سبيل تخليصه من سخرية من هم حوله تزوجته وجعلته شريكاً لها بعد أن كان عاملاً يتقاضى أجراً قليلا، وتصف (أرتميس) زوج أسرار قائلة: " ذلك الزوج ذو الشخصية الضعيفة، أشفقت على ضعفه، رحمت فقره كعادتها، وعندما أصبح حبه الظاهر مصدراً لسخرية العاملين في مستنبتها الكبير، تزوجته، وأنقذته من ضعفه ومن سخرية من حوله "[2] فزوج أسرار مثل صورة الزوج الفقير الذي تعيله زوجته وتنفق عليه، وهي من تتحكم به وتفرض سلطتها عليه، وبهذه الصورة قلبت الروائية الموازين مرة أخرى لتضع الزوجة في موضع القوة، وتضع الزوج في موضع الضعف، وتجعل المرأة هي التي تسير زوجها كيفما شاءت، وبذلك تضرب الروائية بالعادات والتقاليد عرض الحائط، وتخلق صورة جديدة للزوج الضعيف وتجعل المرأة منقذة له ومخلصة له من حياته البائسة، مخالفة بذلك الأعراف التي تجعل قرار الزواج بيد الزوج فأسرار هي من قررت وزوجها نفذ، ففي هذه الصورة نرى أسرار هي المنقذة والفارسة، فدائما ما تهدف الروائية في رواية السقوط في الشمس إلى جعل المرأة في موضع قوة، والرجل في موضع ضعف، وكأن هذا ما تتمنى أن يصير إليه الحال الواقع، وتتمنى تحققه.

[1] الرواية، ص٥٧.
[2] المصدر نفسه، ص٨٦.

صورة الرجل الأخ:

هذه الصورة لا تختلف كثيراً عن صورة الأب والزوج فهي تمثل القسوة والظلم نفسيهما وأحيانا نجد الأخ أكثر ظلماً وتسلطا من الأب، فالأخ يحاسب أخته على كل صغيرة وكبيرة في حياتها لكنه يحق له ما لا يحق لغيره، فأخته تجلب العار، أما هو فمهما ارتكب من محرمات فإن ذلك لا يمس شرف العائلة فلن يعيب عليه أحد أفعاله وسيتزوج ممن يشاء لأنه ذكر ولا يعيبه شيء، ونادرا جدا ما نجد صورة للأخ المحب الحنون الذي لا يرى فرقاً بينه وبين أخته، نادراً ما نجد الأخ الذي يقف الى جانب أخته ويشعر بهمومها، وقد نجد تناقضات في صورة الأخ في الروايات في علاقته مع إخوته فهناك الأخ الطيب الحنون، وهناك الأخ الخبيث الذي لا يحب إلا نفسه، كما نجد صورة الأخ الصغير المدلل عند أخته.

في رواية السقوط في الشمس كان حضور صورة الاخ نادرة، وقد تمثلت هذه الصورة في عائد الذي يمثل صورة الأخ الطيب الذي يحب أخاه ويقف دائماً إلى جانبه؛ فعائد تربطه علاقة قوية مع أخيه (هيليوس)، فها هي (أرتميس) تصف قوة العلاقة والحب بين (هيليوس) وأخيه عائد قائلة: " اسميته دائماً: الأخ الصديق والصديق الأخ، وكلما تحدثت عنه نعته بصفة: العزيز الغالي، ولأنك تحبه فقد أحببته من كل قلبي، وقد كان أهلاً لهذا الحب "[1]

كما نجد صورة للأخ الصغير المدلل متمثلة في سالم أخو أسرار الذي تدلله أخته وتحن عليه كأمه وكان يشبه أخته كثيراً في شكله، " عندما أزورها تبحث عيناي بفضول عن سالم ذلك الصبي العذب، يشبه أخته أسرار في بريق عينيه، أما بشرته الداكنة تعطيه ثقة خاصة " [2] ففي رواية (السقوط في الشمس) لم نجد إلا صورة أخوية تكللها المحبة، تسمو عن أحقاد ونزوات البشر، وكأن الروائية أرادت أن ترسل رسالة عن قوة العلاقة التي تربط الأخوة، فلم تصور الخبث والغيرة بين الأخوة فالروائية سمت في روايتها عن المشاعر السيئة وركزت على المشاعر الإنسانية الجيدة في رسالة للمجتمع إلى ترك الأحقاد والضغائن وأن نسمو بحبنا إنسانيتنا.

[1] الرواية، ص٢٣٢.
[2] المصدر نفسه، ص٨٤.

صورة الرجل الخائن:

هناك عدة أنواع للخيانة فهناك الرجل الذي يخون صديقه ويخذله وقت حاجته وضيقه، وهناك الرجل الذي يخون زوجته بإقامة علاقات مع النساء، والرجل الذي يخون حبيبته ويعدها بالزواج ولا يفي بوعده، وهناك الرجل الذي يخون وطنه ودينه ويبيع أرضه وهذه أشد أنواع الخيانة، فالخيانة من أسوأ وأقبح الأفعال التي يحملها الرجل، فهي تترك بصماتها في زوايا المجتمع كافة؛ فإن خان زوجته دمر ركيزة مهمة من ركائز المجتمع وهي الأسرة، وبذلك يَنْشأُ أطفالٌ وجيلٌ تملؤه المشاكل النفسية التي بدورها تسهم في تأخر المجتمع، وإذا خان الرجل صديقه انعدمت الثقة بين الناس وقلت الأخلاق وقلت الإنسانية والشعور بالغير وكل هذه تُنشِئُ أشخاصاً مهزوزين معدومي الأخلاق وبالتالي تخلق رجلاً خائناً لوطنه.

ففي رواية السقوط في الشمس نجد صورة الرجل الذي يخون حبيبته ويعدها بالزواج وقد تجسدت

في شخصية حبيب أُنس الذي استدان منها مبلغاً من المال للسفر وإكمال دراسته ليعود ويخطبها من أهلها، وأُنس لم تترك عرافاً أو دجالاً ولا قارئاً للفنجان إلا سألته عن حبيبها الغائب "ومنذ ذلك الوقت لم تنفك تطارده في عيون السحرة والمشعوذين، وتبحث عنه في متاهات فناجين القهوة وتتساءل: أما زال يحبني؟ هل سيعود؟ والمشعوذون أبداً يخدرون أحزانها بوعودهم وتوقعاتهم المزعومة "[1]؛ لكن حبيبها يخون وعده لها بالعودة وخطبتها، وينكث عهده ولا يرجع ما استدان من نقود منها وتصاب أنس بحالة نفسية سيئة، بل أنه يتزوج بأخرى فتكتشف أنه لم يحبها يوماً فقط كان يتلاعب بمشاعرها "تحدثنا طويلاً عن أنس التي باتت سلوكياتها غريبة منذ أن تأكدت من خديعتها، ومن زواج حبيبها المزعوم، مسكينة هي المرأة المطعونة في حبها "[2].

ومن صور الخيانة أيضاً خيانة (هيليوس) لحبيبته (أرتميس) مع شرف التي لا تنفك تلاحقه وتذهب إلى بيته ومرسمه، " ما هذه الورود التي تسكن إلى جانب ياسميني في ذات المزهرية ؟! قرنفل برتقالي أطرافه حمراء اللون، أراهن على أنها من تلك التي باتت لا تغادرك إلا قليلاً"[3]؛ ف (هيليوس) برغم حبه ل (ارتميس) إلا أنه خانها مع شرف

---

[1] الرواية، ص٢٦.
[2] المصدرنفسه، ص٦٢-٦١.
[3] المصدر نفسه، ص٨٨.

ودفع ثمن خيانته بأن فارق أرتميس طول حياته، فقد أجبر على الزواج من شرف لأنها كانت حاملاً منه، واضطر لترك حبيبته التي أحب أكثر من نفسه، لقد اقتصرت صورة الرجل الخائن على هذه الصورة، ولم نجد صورة للرجل الذي يخون وطنه أو صديقه.

صورة الرجل المناضل:

تعد صورة الرجل المناضل من أكثر الصور التي تمثل إيجابية الرجل وتضحياته، وسمو أخلاقه والترفع عن ملذات الحياة في سبيل تحقيق أهدافه، فهذه الصورة نقيض لكل الصور السلبية للرجل، نقيض للرجل الظالم؛ فالمناضل ينصر جميع المظلومين ويحمل همهم سواء أكانوا رجالاً أم نساءً، يقف إلى جانب الضعفاء ولا يستقوي عليهم، ونرى المناضل نقيضاً للرجل الاستغلالي الذي لا يهمه إلا حقوقه ورغباته فالمناضل يضحي بسعادته لأجل الآخرين وهو نقيض للرجل الشهواني الذي لا يهمه إلا الجنس فالرجل المناضل لا يهمه إلا قضيته ومبادئه.

فهناك الرجل المناضل بقلمه وفكره الذي يسعى إلى تغيير المجتمع ورفع الظلم عن المظلومين، وهناك الرجل الذي يناضل سياسياً ضد الحكومات العربية الجائرة التي تنهب الناس وتكمم أفواههم وتحرمهم حقوقهم، وهناك المناضل الذي يحمل بندقيته ويقاتل العدو ويقدم نفسه في سبيل الوطن، فالرجل مناضل اجتماعي سياسي ثوري، به يرقى المجتمع والوطن، من خلال صورة الرجل هذه، يمكن أن تُصنع أمجاد الأمة والوطن، يقف نقيضاً للرجل الخائن الذي يبيع وطنه ودينه ونفسه لأجل المال والشهوات.

وفي رواية (السقوط في الشمس) نجد حضوراً لشخصية الرجل المناضل في أكثر من موضع بداية ب(سعادة) الذي عمل في الجيش العربي مدافعاً عن وطنه، فحارب في أرض المعركة وجرب الاعتقال وكل ذلك لم يضعفه، لكن الذي أضعفه وشل حركته وجعله عاجزاً هو اجتياح العدو للأراضي العربية فلم يحتمل قلبه هذا الخبر فأصيب بالشلل، إلا أنه كان صابراً لا يحمل هماً سوى هم الأمة تقول: " أبداً لم أسمع سعادة يشكو من عجزه، ولكنه دائما كان يشكو ممن يشلون إرادة الشعب، ويلجمون غضبه، ويضربونه بسياط من نار، هو لا يكره كرسيه المتحرك، فهو دائماً يذكره بغضبه ورفضه، ويصور له العدو يقترب والأمة مشلولة والظلامَ حالكاً، لكنه يبشر بانبلاج الفجر "[1]فهذه صفات الرجل المناضل الذي يحمل هم وطنه طول حياته في قوته وفي عجزه، ودائما ينتظر بزوغ فجر الحرية، حتى لو ابتعد عن ساحة المعركة يبقى قلبه

[1] الرواية، ص٢٧.

معلقاً بالوطن حاملاً همه على كتفه؛ ف (سعادة) من حجم ذلك الحب كان يَملأُ بيته بصور المناضلين رفاق المعركة والبندقية فهذه الذكريات لا تمحى من حياته ابدا، "بعض الصور أجهل أصحابها، أقدر أنهم ثوار وقادة وطنيون، ليس لأن صورهم تصطف بوقار إلى جانب مجموعة كبيرة من صور أبطال الضابط سعادة، ولكن بسبب تلك النظرة الحادة المرتسمة بقوة في عيونهم، بقوة تتحدى البطش والظلم وتقزمه، وتسخر من ضعفه " [1]؛ فالرجل المناضل حتى في الصورة تتميز حدة ملامحه وقوته، ومن ضمن الصور في بيت سعادة كانت صورة (جيفارا) الذي كان رمزاً للثورة، وقدوة يحتذي بها الثوار، ف (سعادة) لم ينسه عجزه أيام نضاله ضد العدو وهذه الصور في بيته تشهد على حب سعادة لوطنه وتوقه للدفاع عنه ليظل قلبه معلقاً بالثوار والثائرين.

ومن الصور المهمة التي ذكرتها الكاتبة للرجل المناضل صورة الشاب الفلسطيني عيسى الثائر الذي لا يهزمه القيد ولا يثنيه عن هدفه، "حدثت السنديان عن عيسى فأجابتني: إنها تعرفه، وتعرف كم يحب وطنه، هي كذلك تحب الوطن، لكنها لا تحدث الريح في ذلك؛ لأنها تخشى السوط، الكل يخشى السوط، إلا عيسى لا يمكن أن يخشى السوط، لأنه خلق لكي يخشى، هكذا هم أصحاب الحق دائما يخشون ولا يخشون، أتذكر الآن نظرة عينيه، أراها تسخر من العدو، وتبزق في وجهه المشوه بقرف، أتخيل كوفيته الفلسطينية تتمزق تحت ضربات السوط، أما كبرياء عيسى وإصراره فلا يتمزقان أبدا "[2]؛ فالعدو يخشى عيسى والسجان يخشى عيسى، وعيسى لا يخاف أحداً، يؤمن بعدالة قضيته، ويؤمن بأنه صاحب حق، وقد كان عيسى يحلم بأن يتزوج من (أرتميس) التي أحبها بصدق وكان يتمنى أن ينجب منها عشرة أبناء يربيهم على حب الوطن، فعيسى حتى في عشقه يفكر في وطنه، يضحي عيسى بكل شيء من أجل وطنه، بحبه بفنه وعلمه، ففي الجامعة تم اعتقال عيسى لأنه كتب عن وطنه وعبر عن رأيه، وقد سجن عيسى أيضا في معتقلات العدو في صباه .

ومن الصور التي تجسد شجاعة الرجل ووقوفه مع الحق صورة الأستاذ مشعل الخضرا، الذي كان يتكفل الطلاب السجناء ولا يخشى على وظيفته في الجامعة فكان دائما يدعم أولئك الشباب ويقف إلى جانبهم، ويشارك في الاعتصامات التي تناصر المظلوم، " أما الآن وبعد أن كان أول المعتصمين، وبعد أن أقدم بنفسه على تكفل كثير من الطلبة وعلى رأسهم عيسى بضمان عمله، بتنا جميعاً نعلم أنه من النوع الذي لا يجيد

[1] المصدر نفسه، ص٦٧.
[2] المصدر نفسه، ص١٠٨.

الجعجعة والشعارات، ولكنه من النوع الذي إن قال فعل، وإن صمت تدبر " [1] فمشعل الخضرا ناضل عن طريق وقوفه مع المظلومين ودعمهم بماله دون الخوف على منصبه في الجامعة.

صورة الرجل المحب العاشق:

هذه الصورة شائعة جداً في الأدب خصوصا كتابات الرجال، فدائماً ما نجد الرجل العاشق المحب الذي يتغزل بالمرأة، فمن العصر الجاهلي حتى يومنا هذا وصورة الرجل العاشق المحب حاضرة بقوة في الأدب؛ فالشعراء قديماً تغزلوا بالمرأة وأحبوها حد الجنون كان منهم مجنون ليلى الذي أفنى الحب عقله وجسده وفي العصر الجاهلي تعددت صورة الرجل العاشق بين حب عذري طاهر وحب صريح وفي عصرنا كتب الشعراء عن المرأة تغزلوا بها ومثال ذلك نزار قباني الذي تغزل بالمرأة في كل أشعاره، وفي الروايات نجد حضوراً قوياً للحب والعشق ودائماً يكون الرجل المحب متمسكاً بحبه يبذل كل جهده ليتزوج من حبيبته ولا يتلاعب بمشاعرها.

لكن في روايات النساء تركز الكاتبة على صورة المرأة العاشقة أكثر من الرجل العاشق و هدفها من ذلك قلب الموازين وجعل المرأة تلعب دور الرجل في بوحها بعشقها وجرأتها في التصريح بهذا الحب والعشق والهدف من ذلك كسر عادات المجتمع وتحرر المرأة من هذه العادات، ويبقى الحب من المواضيع المهمة والأساسية التي نجدها في الروايات النسائية، لذلك نجد كثيرا من الكاتبات يلمحن عن الحب و تغزل البطل بحبيبته، وأحياناً يكنَّ أكثر جرأة في تصوير علاقة الحب وتصوير الجسد الأنثوي وكيف تغزل الرجل بحبيبته وجسدها، وهل كانت نهاية الحب زواج الحبيبين أم فراقهما، وهل وفى الرجل بوعده لحبيبته بالزواج، كل هذه التفاصيل في الحب ركزت عليها الروايات النسائية.

في رواية (السقوط في الشمس) نجد صورة الرجل المحب العاشق ولكن يكون حضوره أقل من المرأة العاشقة وتعبيره في الرواية أقل من المرأة، وتتجسد صورة الرجل المحب في (هيليوس) الذي أحب (أرتميس) وسحر بجمالها، وكان دائماً يتغزل بها ويغني لها ويقضي معظم وقته معها وكان يحب كل شيء في أرتميس حتى تلك الندبة التي كانت تخفيها بشعرها "قلت لك: هي من سقطة قديمة..

[1] الرواية، ص١١٧.

قاطعتني قائلاً: تعجبني، لا تخفيها.واقتربت مني وطبعت على ندبتي قبلتك الأولى "[1] فالرجل العاشق يحب حبيبته كما هي بعيوبها وحسناتها ولا يريد أن يتغير فيها شيئٌ، وكان دائما يرسل الورود لحبيبته ويكتب لها قائلا: "إلى آلهتي الساحرة (أرتميس) حتى ألقاك.."[2] فقد شبه حبيبته بالآلهة في جمالها وسحر عينيها، وكان (هيليوس) يغار كثيراً على حبيبته (أرتميس)"أنت غيور، غيور بطريقة غريبة، تغار من مجرد أن يحلم من أمامك بلمس ما تملك، تغار علي ليس مثل غيرة المحب الضعيف، بل مثل غيرة السيد الذي يملك قلباً بشكل كامل، ولا يقبل أن يناقش فكرة حصول أي مخلوق على جزء من هذا القلب، ولو على شيء من فتات عطفه " [3] فالرجل العاشق يريد أن يتملك حبيبته وقلبها ولا يحتمل أن يعطف قلب حبيبته على أحد غيره،

كما كان دائماً يرى حبيبته مختلفة عن كل النساء "لا تغاري يا حبيبتي من النساء، أنت لست كأي أحد منهن، أنت صنف آخر، مزيج عجيب من الحب والأسطورة والقدر، أنت وجه لا ينسى، ملامحه لا تتكرر، أما غيره من الوجوه فقدرها النسيان؛ لأن ملامحها لا تملك مثل بريق عينيك العاشقتين "[4] وكان (هيليوس) يحب ورد الياسمين؛ لأن حبيبته تحبها وكانت رائحة الياسمين تذكره برائحة حبيبته (أرتميس)

ومن صور الرجل العاشق كاظم حبيب فضيلة الذي وقف فقره في وجه حبه وسافر إلى بلده البصرة ليعمل ويعود ليتزوج من فضيلة، ولكنه يذهب إلى الجيش ويستشهد فيفرق الموت بينه وبين فضيلة التي كانت كل شيء جميل في حياته، كان دائماً يقول: إن فضيلة هي السعادة الوحيدة في حياته، عشقها حد الموت، فكاظم كان حبيباً مخلصاً مضحياً في سبيل حبه وفي سبيل سعادة فضيلة.

وتظهر صورة أخرى للرجل العاشق صورة عيسى الذي أحب (أرتميس) التي لم تحبه، فكان حبه من طرف واحد يراقبها يراها يكلمها دون أن يبوح بحبه وإعجابه، وحين اعترف لها بحبه وعرض عليها الزواج والذهاب معه لفلسطين رفضت لأنها تحب (هيليوس) ، حلم عيسى بالزواج منها وإنجاب عشرة أطفال منها يقدمهم للوطن، كان حبه لأرتميس كحبه للوطن، حب حزين يشعره بالألم.

---

[1] الرواية ،ص٥٦.
[2] المصدر نفسه، ص٥٨.
[3] المصدر نفسه، ص٧٥.
[4] المصدر نفسه، ص٧٦.

صورة الرجل الشهواني:

نجد هذه الصورة حاضرة بقوة في روايات النساء فقد كتبت الروائيات عن الرجل والجنس في رواياتهن وبالغن في الحديث عن هذه الصورة للرجل، ففي روايات النساء نرى صورة الرجل الذي يقيم علاقات متعددة ويستغل عاطفة المرأة وجسدها ليشبع غرائزه، ويَعُدُّ المرأة جسداً يتمتع به، وكذلك الرجل الذي يقيم علاقات مع فتيات صغيرات أو الرجل الذي يخون زوجته مع الخادمة أو السكرتيرة "في الليل يتسلل من فراشها إلى الخادمة في المطبخ، أو السكرتيرة في المكتب، لا يشتهي إلا الفتيات الصغيرات من الطبقة الدنيا " [١] ومن الصور للرجل الشهواني صورة الرجل الذي يقوم بالاغتصاب دون رحمة أو مبالاة همه إشباع غرائزه، وقد تناولت الروائيات موضوع اغتصاب الرجال للأطفال ففي رواية (زينة) لنوال السعداوي تتحدث عن طفلة رأت أباها يغتصب طفلا بنفس عمرها " جسد أبيها وجسد الطفل الولد الأعرج من أولاد الشوارع، عمره ثمانية أعوام مثل عمرها " [٢]

ومن المواضيع التي تناولتها الرواية النسائية الشذوذ عند الرجل سواء الشذوذ في ممارسة الجنس مع زوجته أو مع الرجال وقد تحدثت الروائيات عن نظرة الرجل الشهواني للمرأة سواء أكانت زوجته أم عشيقته وأنه لا يهمه رغبات المرأة أو إثارتها بقدر ما تهمه شهوته ففي رواية (اكتشاف الشهوة) تسرد الروائية علاقة الجنس التي يمارسها الرجل مع المرأة " يخترقني قبل أن يوقظ شهوتي، يفعل ذلك بسرعة وأنا بعد شايحة يؤلمني دون أن أشعر بأي متعة ثم ينتهي ويتركني جثة تحتضر "[٣]

وقد تطرقت الروائيات للرجل المتدين الذي يعدد ويتزوج النساء بحجة تطبيق الشرع وهو لا يهمه إلا الجنس، نجد صورة رجل الدين الذي يطبق التعدد ليجرب كل أنواع النساء فيجرب القاصر، والمرأة العفيفة، ويتزوج من المطلقة بحجة رعاية أطفالها ورعايتها، ويتزوج من العاهرة وكل ذلك تحت قناع التدين، وقد تناولت بعض الروايات النسائية صورة الرجل الملحد العلماني الذي يستخدم علمه وأفكاره للإيقاع بالفتيات، فروايات النساء لم تفرق بين رجل متعلم أو متدين أو مثقف فكلهم سواء في الجنس وكلهم لا يهمه إلا رغباته يستخدم مبادئه وتدينه للوصول إلى تلك الرغبات والغرائز.

---

[١] السعداوي ، نوال: رواية زينة ، بيروت :دار الساقي ٢٠٠٩م ،ص١٠٠.
[٢] الرواية، ص ١٢٨.
[٣] الفاروق، فضيلة: رواية اكتشاف الشهوة ،دار الريس للنشر ٢٠٠٥م،ص ٩١-٩٢.

في رواية (السقوط في الشمس) لم تفصل الروائية العلاقات الجنسية كما في روايات النساء الأخرى بل لمحت تلميحاً، ولم تركز على صورة الرجل الشهواني فقد كللت روايتها بالحب الطاهر العفيف، وقد كانت تذكر في بعض المواقف نظرات الرجال الشهوانية للنساء في القطار أو في الجامعة، لكنها لم تقف على تفاصيل العلاقات الجنسية ، فقط نجد صورة واحدة سيئة هي صورة تجسدت في نمر نصار الذي يستخدم ماله ونقوده لإقامة علاقات مع النساء، وقد كان نمر نصار دائماً يسأل عن شرف " يسألني عن شرف، أجيبه عنها باقتضاب، أتخيل كم هو مناسب لها، ستعشق نقوده بشك كبير، وستقدم جسده رخيصاً مقابل أمواله، وهو مستعد دائماً للدفع وبكل سخاء " [1] فنمر نصار رجل شهواني لا يهمه الأخلاق والمبادئ وهو صورة مغايرة للمناضل الذي لا تهمه شهواته المناضل الذي لا يفكر إلا في وطنه، أما الشهواني فلا يفكر إلا في إشباع غرائزه ولا يهمه إلا النساء.

صورة الرجل الأسطورة:

وفي العصور القديمة قدس العرب المرأة[2] وربطوا خصب المكان بها، إلا أن هذه المكانة بدأت بالأفول عندما تنامى دور الرجل ليحل محلها[3].

في المجتمع والأدب تنحاز الأساطير للرجل وتقدسه وترفع من شأنه، ومن أهم الأساطير التي انحازت للرجل هي أسطورة آدم وحواء وتحميل وزر وإثم الخطيئة لحواء؛ فهي السبب في خروج آدم من الجنة، فنجد الأساطير تحاسب المرأة وتقدس الرجل برغم ارتكابه للمعاصي ومن الأساطير التي وقفت إلى جانب الرجل أسطورة (ميدوزا) " ميدوزا ربة الحكمة والثعابين الأمازيغية، الجميلة التي ارتكبت الفاحشة مع بوصيدون في معبد أثينا، حيث نراها تتحمل وحدها غضب أثينا فتسلبها جمالها وتحول شعرها إلى ثعابين، وليس هذا فحسب بل تفرض عليها العزلة، حيث تطال اللعنة كل من ينظر إليها ليتحول حجرا..وكانت نهايتها على يد برسيوس الذي قطع رأسها وأهداه إلى أثينا أثناء عودته من حرب طروادة، فنال الخلود تكريماً له " [4] فالأساطير تنحاز للرجل ولا

---

[1] الرواية ،ص٩٦.

[2] ينظر:الديك، إحسان: الأسطورة في الفكر الجاهلي وأدبه، باقة الغربية، مجمع القاسمي للغة العربية أكادمية القاسمي،ط١ ،٢٠١٦م ، ص٨.

[3] ينظر:الديك، إحسان:صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي، باقة الغربية، مجمع القاسمي للغة العربية، ط١، ٢٠١٣م، ص٥١.

[4] Swnsyria.org/?p=3253

تحاسبه على أخطائه بل تخلده وترفع من شأنه، والأساطير ما هي إلا تعبير عن فكر المجتمعات التي نشأت فيها هذه الأساطير، وهي دليل على تقديس هذه المجتمعات للذكورة، والمبالغة في حساب المرأة؛ لذلك نجد أن الأساطير هي أفكار ومعتقدات الناس والدين وليست مجرد خيال، فكانوا يعتقدون قديماً أن الله قدس الرجل عندما خلقه وخلق حواء لتؤنسه وتنسيه همومه وجعلها مُسخَّرة لخدمته، وأعطى حق السيادة والتحكم للرجل، والأساطير دائماً ما كانت تلعن المرأة وتصورها بالشيطان، وتحملها سبب الهموم والشقاء، ولم نجد أسطورة تلعن الرجل وتشبهه بالشيطان، وقد استخدم الأدباء في كتاباتهم الأساطير لتعبر عن رمزيات اجتماعية وسياسية ونفسية، أما الكتابات النسائية فقد استخدمت الأسطورة لتبين معاناة المرأة والفروق والإجحاف بحقها على مدار التاريخ، ولتصنع ملحمة وأسطورة المرأة المتحررة، وتطيح بعرش الذكورة وتحطم تمثال وأسطورة القداسة الذكورية.

وفي رواية (السقوط في الشمس) استخدمت الساردة الأساطير بكثرة، فقد استخدمت الأساطير رمزاً للرجل العاشق، واستخدمتها لتصف جمال الرجل تتغزل به، وقد استخدمتها في وصف إخلاص الزوج وحبه لزوجته، كما استخدمتها في وصف الرجل المقاوم الثائر، بداية بالأساطير التي صورت جمال الرجل وطلته ففي هذه الأساطير رسمت صورة الرجل الحبيب الذي عشقته وأعجبت بجماله ورجولته "فتجدك ممتطياً عربتك الذهبية تحمل الشمس، وتهدي النور للبشر، وتنديهم من ينبوع رجولتك وبهاء طلتك، فتقبلك، تهديك دفلى مشاعرها "[١] فهنا شبهت الرجل الحبيب بالشمس التي تنشر أشعتها على الدنيا، تتغزل بطلته وجماله، وتجعله مصدراً للنور في حياتها.

كما استعانت بالأساطير في رسم صورة الرجل العاشق التي تمثلت في أسطورة (زيوس) كبير آلهة اليونان الذي أحب امرأة آدمية فانية "لقد كان قوياً جباراً، ولكنه ركع أمام الحب، وهجر حب السماء ليعشق آدمية فانية تسمى (لاتونا)، وتزوجها فوهبته أجمل توأمين: (هيليوس) إله الشمس والرجولة والأدب و (أرتميس) آلهة القمر والصيد"[٢] ففي هذه الأسطورة تظهر لنا قوة الحب وسطوته التي تجعل أقوى الأقوياء يركع لحبه ويسلم أمره لحبيبه.

[١] الرواية ، ص٦-٧.
[٢] الرواية، ص١٤.

من ثم نجد (أرتميس) تتغزل بحبيبها وتسميه (هيليوس) لشدة جماله ورجولته "(هيليوس) ذلك الإله الشاب الجميل ذو العيون الزرقاء، والشعر الأشقر المجعد، والجسد الرجولي الرائع الذي يمثل نهرًا خالدًا للرجولة، يركب عربته الشمسية، ويندي العالم بنوره الخالد "[1] فمن شدة عشقها له تسمو به لتشبهه بالآلهة، ولا ترى شبيهاً له بين البشر فعينيه حكاية، وشعره خصلات ذهبية لامعة، وجسده يفيض رجولة ووسامة، فهو يشبه (هيليوس) في شكله، ويشبه (زيوس) في قوته وفي ثقته التى تطغى على كل من حوله، فدائما ما تصفه بأنه قدرها الذي لا تستطيع الفرار منه، وأن أشعته الذهبية وشمسها تغمرها وتغمر كل النساء، ودائماً تسأل نفسها كم من النساء تمتعن بدفء شمسك، وأحياناً تصفه باللعنة التي حلت على قلبها، وأدمته إلى الأبد، وتشبهه بتماثيل الإغريق، ودائماً ما تتخيل أنه هرب من أحد الأساطير لأنه لا شبيه له بين البشر، "أصمم على أنك تسكن السماء وترافق الشمس، أما الأرض فعجيب أن تتخذ فيها مسكناً كسائر البشر "[2].

كما جسدت الكاتبة صورة للرجل المحب الحزين الذي يفقد حبيبته ويبكيها وقد تجسدت هذه الصورة في أسطورة (كالاجولا) التي تتحدث فيها عن ملك ماتت حبيبته، وقد آلمه موتها وتعذب كثيراً على فراقها، وقد رأى بأن القمر يشبه حبيبته، فيطلب ممن حوله بأن يحضروا له القمر الذي سيخفف عنه ألمه لفقده حبيبته، ومن يعجز عن ذلك يقوم بقتله، فيتآمر رجال دولته للتخلص منه، والأسطورة تمثل شدة الألم الذي تعرض له عند موت حبيبته "يضمها (كالاجولا) بحب مفجوع، يقفل دونهما أبواب مقصورته، تخفت الأضواء والموسيقى، جسده المفجوع وهو يضم الحبيبة يرسم بؤساً حقيقيا، يبكيها بحرقة، يرثيها بشعر جميل، يطالبها باسم الحب بأن تهجر الموت، ولكنها لا تستجيب "[3] فهذه الصورة تمثل أثر الفراق على الرجل العاشق.

وتظهر لنا صورة أخرى للرجل العاشق الذي تخونه حبيبته تجسدت في أسطورة البلبل الذي أحب مالكه فضحى بنفسه من أجل أن يهب صاحبه وردة حمراء خضبها بدمه ليهديها لحبيبته التي رمت هذه الوردة وذهبت مع رجل غني ولم تبالي بوردة حبيبها ولا حبه لها، فهذه الصورة تمثل وجع الخيانة ووجع التضحية التي تذهب لأشخاص لا يستحقون ولا يقدرون المشاعر.

---

[1] المصدر نفسه، ص١٤.
[2] المصدر نفسه، ص٩٤.
[3] المصدر نفسه، ص١٣٣.

ورسمت الكاتبة صورة جديدة عن طريق استخدام الأساطير صورة الزوج المحب المخلص لزوجته، الذي لا يقدر على فراقها وقد عبرت عن هذه الصورة من خلال أسطورة (أورفيوس) "ذلك الموسيقي الذي عشق موسيقاه بقدر عشقه لزوجته (يوريديس)، وعندما سرقها الموت، لم ييأس، بل لحق بها إلى مملكة الموت، واستطاع بموسيقاه الحزينة أن يقنع (هاديس) إله الموت والحياة السفلى أن يعيدها إليه، لكن إله الموت اشترط عليه أن يسير أمامها، وأن لا ينظر إليها أبداً، لم يستطع (أورفيوس) أن يكبح فضوله، فنظر إليها، فاختفت إلى الأبد، وكتب عليه أن يبكيها إلى الأبد حتى الموت "[1]فهذه الأسطورة تبين مدى الحب الذي يربط الزوج بزوجته، فهي نصفه الثاني الذي لا يستطيع العيش من دونه.

وتصور الكاتبة شدة حزن الرجل على زوجته بأسطورة (لوركا)الذي حزن بشدة على موت زوجته، ومن شدة حزنه عليها لم يستطع البكاء بل ظل يرقص طول الليل حتى أنهكه التعب كما استخدمت الكاتبة الأساطير لترمز للرجل الفلسطيني المقاوم الثائر، الذي لا ييأس ولا يخاف العدو، وينتفض من بين الدمار والحطام، ليفجر غضبه في وجه العدو فشبهته بطائر الفنيق " أتعرف يا حبيبي ما هو طائر الفنيق ؟ هو طائر مقدس عبده الفنيقيون، عبدوه لأنه رمز للحياة والتجدد، كلما قهره الزمان أحرق نفسه، فجدد بذلك حياته وعاد إلى قوته وشبابه " [2]وهذا هو حال الرجل الفلسطيني الذي يصنع من بؤسه ودمه حياة جديدة.

في النهاية يمكن أن نستنتج من كل هذه الصور الأسطورية أن الكاتبة استخدمت الأساطير بكثرة في روايتها، لتجعل هذه الصور درامية خيالية تحلق بالمشاعر وتسمو بالحب، وكأنها تدعو المجتمع إلى الاقتداء بهذه الصور الجيدة التي تمثل قمة الحب والإخلاص والتفاني، وكأن الكاتبة تتمنى وجود رجال مثل الذين كتبت عنهم وصورتهم، فالكاتبة ناقضت الواقع بهذه الصور، فالغالب في واقعنا المادة لا الحب، ونادراً ما نجد الإخلاص والحب من قبل الزوج، فالكاتبة أتبعت أسلوباً مناقضاً للروائيات في كتابتها فجعلت روايتها تزخر بالإيجابية بدلاً من تلك الصور السيئة التي وجدت بكثرة في روايات النساء.

لم تذكر سناء الشعلان الأساطير السيئة التي تظهر الرجل بصورة سيئة تظهره شهوانياً ظالماً للمرأة، مع أن الأساطير التي تقدس ذكورة الرجل وتجعله ظالماً للمرأة

---

[1] الرواية، ص١٣١.
[2] المصدر نفسه، ص١٠٩.

كانت كثيرة في الأدب، طغت على كل الأساطير الجيدة لكن الكاتبة تتمتع بروح إيجابية روح عاشقة لا تهاجم الرجل ولا تهاجم المرأة وتقر بمميزات كليهما، ولا ترفع من مكانة أحدهما على الآخر.

صورة الرجل الجبان:

من الصور السلبية التي صورتها الرواية للرجل صورة الرجل الجبان، وهو ذلك الرجل الذي يجبن أمام مصاعب الحياة ودائما ما يحاول الهروب إذا ما وقع في معضلة من معضلاتها، فلا نراه يواجه المشكلات أو يبحث عن حلول لها فالحل الوحيد عنده دائما هو الهرب، فهو جبان في الحب لا يستطيع أن يعبر عن حبه لمحبوبته بأدنى كلمة إنما يكتفي بالصمت ويترك للحب أن يعبث بقلبه وروحه دون أن يستخدم حتى لسانه للتعبير عن ذلك الحب حتى بكلمة أحبك فهو جبان في الحضور وفي الغياب فربما يمتلك في قلبه أعظم حب فاق حب الرجل الشجاع وبسبب ذلك الجبن بدا أمام من يحب كالجماد، على الرغم من أنه لا يخون في الحب أبدا وكذلك الأمر في محبته لوطنه رغم عجزه عن تقديم أي موقف حتى ولو كان بكلمة يقولها من أجل وطنه فهو عاجز عن التضحية بأي شيء في سبيل من يحب، وذلك بسبب الجبن الذي يتملكه؛ فدائما ما يكتفي بالصمت أو يختصر ذلك كله بالهرب فصفة الجبن في ذلك الرجل كما صورتها الرواية لم تكن صفة وراثية ولدت معه، بل على العكس من ذلك هو عاشق جريء ومناضل شجاع، بيد أن التجارب القاسية كلفته غاليا حين دفعته إلى المضي في طريق الجبناء فهي أسلم الطرق وآمنها لديه، فصفة الوفاء فيه وحبه المتناهي للغير جعلته يدفع ثمن ذلك الوفاء بأن يصبح جبانا، فهو في كثير من الأحيان ضحية لخيانة الغير.

وقد برزت هذه الصورة واضحة في رواية (السقوط في الشمس) فكانت شخصية (هيليوس) الذي جرب السجن والنضال عندما كان في الجامعة فأثر هذا النضال كثيراً في مستقبله، وقد استنتج من سجنه أنه لا جدوى من تحمسه ووقوفه في وجه الظلم، فاختار مستقبله على التضحية من أجل الحرية، فعندما سجن لم يقف أحد إلى جانبه، فاختار أن يكون محايدا لا علاقة له بالسياسة والثورة، وقد برر جبنه لحبيبته بطبيعة الحياة الصعبة التي لا تعطي الفرص لأحد أكثر من مرة فيقول لها: "أنت لم تخبري الحياة، كما خبرتها، الحياة لئيمة وقاسية تعطي القليل، لذلك يجب أن يتمسك الإنسان

بهذا القليل "[1]وعندما أصبح أستاذا جامعياً ذهبت إليه حبيبته (أرتميس) ليكفل عيسى الشاب الفلسطيني المناضل وذلك حتى يخرجه من السجن، إلا أنه رفض وتخاذل خوفاً على مستقبله وحياته فكان بذلك صورة للرجل الجبان الذي لا يناصر المظلومين على الرغم من قدرته على ذلك، ومن كثرة خوفه على نفسه طلب (هيليوس) من حبيبته (أرتميس) أن لا تأتي لزيارته لكي لا تسبب له الشبهات "أنت وشأنك، ولكن لا تورطيني معك، اجعليني بعيداً عن المشاكل، أفضل أن تفكري بهدوء، وحتى ذلك الوقت أرجو أن نقلل من لقاءاتنا على الأقل هنا في المتحف "[2]حتى أن (هيليوس) مستعد للتضحية بحبه من أجل ألا يتضرر بسبب وقوفه مع عيسى، فكانت صفة الجبن في (هيليوس) أكثر أثراً على (أرتميس) من صفة الخيانة فقد تحملت (أرتميس) خيانته لها مع شرف لكنها صدمت بجبنه.

صورت سناء الشعلان الرجل الجبان بأنه أسوء من الرجل الذي يخون حبيبته، ففي حديثها عن الخيانة وضعت الكثير من المبررات لخيانة (هيليوس) لأرتميس، ولكن عندما صورته جباناً نجد أنها قد بالغت في جعل صورته قبيحة حتى أن (أرتميس) لم تعد تراه بنفس جماله وبدت تراه قبيحا، "أحدق طويلا في قسماتك، متى أصبح فمك متسعاً إلى هذا الحد، شعرك لا يتماوج كشعر (هيليوس) بل كشعر يتهيأ لبروز قرون شيطان من تحته، أنا أخشاك، أرمقك بغضب يساوي حبك لي: أعرف أنك جبان.."[3]

وعندما رأت مشعل الخضرا الرجل القبيح وكانوا يسمونه الرجل الدودة عندما رأته يناصر عيسى ويتكفله بدت ترى ملامحه جميلة ووجهه منيراً بعكس حبيبها الذي تغيرت ملامحه إلى القبح، فسناء الشعلان أرادت إيصال فكرة أن الجمال جمال الروح وأن الرجل يكون جميلاً بشجاعته ونصرته للمظلوم لا بشكله، ولتبين سوء الجبن وأثره الذي لا يقل خسةً عن خيانة الوطن ولأن الساكت عن الحق شيطان أخرس جعلت صفة الجبن في شخصية البطل الشخصية الأساسية في الرواية ولم تضعها في الشخصيات الثانوية، لتشد انتباه القارئ وتصدمه وتجعله يتأمل هذا الفعل والتصرف، كما تترك أثراً في نفس القارئ الرجل للابتعاد عن مثل هذه الصفة، فسناء الشعلان تريد إيصال فكرة للرجال مفادها، إذا أردتم الوصول إلى قلوب من تحبون من النساء كونوا شجعانا وانصروا المظلوم.

---

[1] الرواية، ص١١٣.
[2] المصدر نفسه، ص١١٣.
[3] المصدر نفسه، ص١١٤.

صورة الرجل المتدين:

لقد اقتصرت صورة الرجل المتدين في روايات المرأة بشكل عام على أنها صورة للرجل السلبي الذي يستخدم الدين في خدمة مصالحه ونزواته فهو لم يأخذ من الدين غير قاعدة التعدد غاضاً الطرف عما نص عليه الدين من احترام المرأة وتقديسها، فهو رغم تظاهره بالشجاعة والإقدام إلا أنه في الحقيقة أكثر سوءاً من الرجل الجبان الذي يقدس الحب في امرأة واحدة ويتعامل معه بطهارة مطلقة، لكن في رواية السقوط في الشمس بدت صورة الرجل المتدين مغايرة تماماً لما أسلفنا الحديث عنه حول صورته في روايات النساء بشكل عام، فسناء الشعلان أظهرت صورة الرجل المتدين بأفضل صورة وجعلته أكثر الشخصيات أخلاقاً وطيبة وقد تمثلت صورة الرجل المتدين بشخصية أجود الذي كان مغرماً بالورود ويبيعها في حانوته الذي أسماه (جنة أجود)، إلا أن لتدين أجود قصة مختلفة عن المتدينين في الروايات الأخرى فأجود درس الفلسفة وتأثر بالفكر الاشتراكي وترك الإسلام وألحد، وأكثر ما جذبه بالاشتراكية هي المساواة في كل شيء بين الأفراد وإلغاء نظام الطبقات فلا يوجد فقير ولا غني فكلهم سواء.

يعود أجود من دراسته إلى أهله الذين قاطعوه حتى أمه لم تكلمه بسبب إلحاده، وحرمه إخوته من الميراث وطردوه خارج البيت وأعطوه حانوت أبيه القديم ، فعمل أجود في الزهور وأعاد ترميم حانوت أبيه وأسماه جنة أجود وقام بالعمل في بيع الورود وكانت الورود سبباً في هدايته فكان كل يوم يجلس يتأمل وروده وجمالها "رأيتها جميلة تسبح باسم الخالق، تأملت الزهور لأسابيع طويلة، ألوانها وروائحها كلها دلائل على عظمة الخالق، لا يمكن أن تخلق الزهور نفسها، بل لا بد من خالق مدبر، كنت أسمع الزهور تسبح باسم الله، أما أنا فجاحد كافر، فيما بعد كنت أسبح معها، أتفكر في قدرة الخالق، طلبت الغفران طويلا من الله، عندما سكنتني تلك السكينة عرفت أن التوبة باب لا يغلق "[1]فقد سخر الله الزهور لهداية أجود الذي عشق هذه الزهور، ففي قصة إيمان أجود تتعمد سناء الشعلان ربطها بالزهور لتضفي عليها الكثير من الرقة واللين والحب الذي دعا إليه الإسلام، فهي بذلك تحطم كل القسوة والفظاظة التي يمارسها بعض الناس باسم الدين ويهاجمون فيها المسلم قبل الكافر، وجعلت من عشق أجود للزهور طريقاً للهداية، فتخرج لنا بأسلوب جديد لا يحاكي الواقع في التدين والالتزام.

[1] الرواية ، ص١٤٤-١٤٥.

كما وتحدثت سناء الشعلان عن صفات أجود الذي يمثل صورة الرجل المتدين فقد كان خلوقا دمثا طيب القلب، يحبه الزبائن ولا يقطع صلاته في المسجد، ويثق فيه زبائنه ويأتمنونه على أسرارهم، كما كان كريماً مع زبائنه يعطيهم بعض الزهور المجانية؛ لأنه يحب أن يرى كل الناس سعداء، ثم إنه كان شاباً خجولاً عندما يحادث النساء يرتبك وتتغير ملامحه "هو يخشى الله، حمرة من نوع خاص تعلو وجهه، أقبل المال، أشكره عليه، لا أعد المبلغ، أقدر أنه مبلغ قليل، أدسه في محفظتي أعاود تنسيق باقة أمامي، الحمرة تفارق وجه أجود، ويعود الصفاء إليه "[1].

لقد حضرت صورة أجود الذي يتصف بالحياء والأدب مع الجنس الآخر مناقضة لصورة الرجل الشهواني الذي لا يترك امرأة إلا ويغازلها فهو لا يعرف عن الحب شيئاً والفرق بين أجود المتدين والرجل الشهواني أن الشهواني لا يفكر بالزواج مطلقا ولا يهمه مشاعر المرأة، ولا يهمه كسر القلوب ولا يهمه الخيانة فهو أساسا لا يقدر المرأة ولا يحترمها ولا يعترف بحقوقها أما أجود الرجل المتدين عندما أعجبته امرأة ذهب مباشرة ليخطبها من أهلها فهو لا يتلاعب بمشاعرها بل يتوج حبهما بالزواج.

ومن أهم الصفات التي ميزت أجود المتدين حبه لوالدته وتقبيل يدها كل يوم والسعي لنيل رضاها، حتى لما قاطعته ظل يزورها دوما، فرضاها بالنسبة له أهم شيء في الحياة.

وقد تميزت صورة الرجل المتدين في رواية (السقوط في الشمس) بأنه كان رجلا متعلما مثقفا، لديه فلسفته الخاصة في الحياة، فلم يكن ساذجا يتهم ويطلق الأحكام على الناس كيفما يشاء، تعلم من الدين الأخلاق وحسن المعاملة بعكس الصورة النمطية للرجل في الروايات الأخرى التي لم يعرف الرجال فيها من الدين سوى أحكام المرأة والزواج فأجود لم يذكر التعدد ولم يهاجم المرأة، بل كان يحترم (أرتميس) ويعاملها معاملة حسنة مع أنها كانت غير ملتزمة بالحجاب وغير متدينة بل على العكس من ذلك فقد أعجب بها وعرض عليها الزواج، ترمي الكاتبة من خلال رسم صورة الرجل المتدين على هذه الملامح إلى جعل الرجل المتدين متقبلاً للآخر، ينظر إلى القضايا المهمة من الدين لا إلى قضايا المرأة فقط.

[1] الرواية، ص١٤٢-١٤٣.

صورة الرجل والسلطة

إن السلطة الذكورية نشأت منذ عصر العبودية فانتقلت من سيادة الأب إلى الزوج[1] وعلى الرغم من أن الكاتبة في روايتها قد بدت بشكل ما مناصرة للرجل وذلك من خلال محاولتها الدفاع عنه والتماس الأعذار له بسبب مختلف مواقفه السيئة في المجتمع إلا أنها لم تجد بدا من التوقف على صورة الرجل الظالم فهو لا يظلم المرأة كما في روايات النساء التي حاولت تغليب هذه الصورة على مختلف صور الرجل، إنما يظلم الرجل الذي كان ضحية لهذا الظلم كما المرأة وكأنها تخلق من خلال هذه الصورة طرفا ثالثا في المجتمع يقدر الظلم على الرجال والنساء سواء، بل ربما يكون الرجل أكثر عرضة لهذا الظلم من المرأة، فالرجل الظالم لا يفرق في ظلمه بين الرجل والمرأة فغريزة الظلم لديه عامة.

وفي رواية (السقوط في الشمس) تمثلت شخصية الرجل الظالم في ضابط المخابرات الذي سجن عيسى وجنوده، وقد وضعت سناء الشعلان في هذه الصورة أسوء الصفات الجسدية والمعنوية،

فجسدياً جعلته قذراً لا يهتم بنظافته، تفوح منه رائحة عرق نتنة، وقد تطرقت الكاتبة إلى وصف شكله ولباسه لتكتمل الصورة السلبية لهذا الرجل " أما ذلك الضابط ببدلته الداكنة، وعينيه الغائرتين، وأنفه المعكوف كالصقر "[2]وكأن سناء الشعلان تحاول أن تجعله بصورة مخيفة وشكل أرعن.

ولا تكتفي الكاتبة بهذه الصفات بل تستطرد لتخوض في مكنونات نفسه وخبايا شخصيته، فتجعله رجلاً يستقوي على الضعفاء ولا يستطيع أن يجابه العدو الحقيقي لهذه الأمة، حتى أن الكاتبة تستبعد أن يكون لديه فكر أو مبدأ يسيره، إنما يسير وفقا لهوى ورغبات قادته ومن هم أعلى منه رتبة، فهو يظلم نفسه قبل أن يظلم أبناء شعبه.

ومن صفات الرجل الظالم التي وقفت الكاتبة عندها أنه بلا ضمير، فهو لا يشعر بالذنب، ولا تتحرك مشاعره الإنسانية عندما يعذب المتهمين ويوقع عليهم أشد أنواع العذاب الجسدي والمعنوي،

---

[1] ينظر:مناصرة، حسين:المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٢، ص٤٩.
[2] الرواية ، ص١١٥.

أما عن وضع عائلته وأبنائه، تتساءل حول شعورهم بأنهم أبناء رجل ظالم، هل يفخرون به أم لا يحبون وجوده في حياتهم ؟ وهل يراه أبناؤه وهل يدللهم ويعطف عليهم كباقي الآباء ؟وكأن الرجل الظالم نكرة في مجتمعه ووطنه وعائلته، فبدل أن ينشغل بأبنائه وعائلته ومستقبله، ينشغل بتعذيب الناس وزجهم في السجون.

ومن صفات الرجل الظالم أنه شهواني لا يقاوم النظر إلى النساء " أتخيل الضابط الذئب سينقض في أية لحظة على نورما، ويفترسها بلا رحمة، ثوبها القصير يناسب نظراته تماما، لا ينفك يطالع لحم ساقيها من وقت إلى آخر ثم يعود ليحدث الجميع عن الأشراف والأحرار، ولكن من وجهة نظره "[1] فالضابط الذئب لا يعرف شيئا عن الشرف والرجولة، ومع ذلك لا يتحدث إلا عن الشرف مدعياً أنه من الشرفاء، فلا يصون شرف أرضه وأهله ولا يلتزم بضوابط وقوانين، ونظراته لا تترك إمرأة وشأنها، "نظرات الضابط تشيع ساقي نورما، أكاد ألمح لعابه يتنزى من بين شفتيه، ليته يستطيع أن يقرأ العيون بدل متابعة السيقان لرأى في عيني نظرة اشمئزاز قادرة على قتله "[2] ف (أرتميس) تنتقد الضابط وتهزأ منه لأنه لا يفهم شيئاً سوى الجنس والنساء وتشبهه بالحيوانات المفترسة فهو ينظر للمرأة كأنها فريسة أمامه، وتقول (أرتميس) لو أن الضابط لديه مشاعر وأحاسيس لفهم معنى نظراتها إليه، هذه النظرات المليئة بالاشمئزاز والاحتقار لو فهم معناها لقتل نفسه أو لترك هذا العمل البذيء.

لقد بالغت الكاتبة في تحقير صورة الرجل الظالم، حين جردته من جميع القيم الإنسانية، والسبب الذي جعلها تكون ناقمة على هذه الصورة للرجل أكثر من أي صورة أخرى هي أن هذا الظالم في الواقع له أثر سيء في حياة الشعوب العربية، وسناء الشعلان مواطنة عربية عايشت الشارع العربي ورأت معاناة الرجال وعائلاتهم من بطش الرجل الظالم، لهذا ركزت على هذه الصورة وأظهرتها بأسوأ أشكالها لتلفت نظر المجتمع العربي لذلك، ولتبين لهم مدى ضعف هذا الظالم وبالتالي تشجعهم على التحرر من قيوده، فلا يسمحوا لهذا الجاهل أن يتحكم بهم وهم أعلى منه أخلاقاً وعلماً وضميراً فما هو إلا مجرد وحش بشري وأداة يحركها أسياده، ويعيش حياته ذليلا ويموت ذليلا.

ومن الصور الأخرى للرجل الظالم التي ذكرتها سناء الشعلان صورة الجندي الفقير المظلوم الذي لا يعرف من دنياه سوى بيته والمعسكر، محروم من جميع متع الحياة، يناصر الظالم دون أن يرفع ذلك من مستوى معيشته، يضيع شبابه في المعسكر يخدم

[1] الرواية، ص١١٧.
[2] المصدر نفسه، ص١١٨.

أسياده، وقد صورته سناء الشعلان بأنه شاب يافع حرم نفسه ملذات الحياة، باختياره أن يكون جنديا، والاختلاف بين الجندي والضابط أن الضابط مجرد من الأحاسيس والضمير، أما الجندي فكان كما صورته سناء الشعلان يحمل الكثير من التأثر في عينيه، ومع ذلك يؤثر الصمت فهو يشارك الظالمين في تعذيب أبناء شعبه مبررا ذلك بلقمة عيشه، وهذا ليس عذرا كما ترى الكاتبة؛ فهناك الكثير من الفقراء الذين آثروا الفقر على أن يكونوا أداة للظلم، فهذا الجندي على الرغم من إخلاصه الشديد لأسياده طمعا في لقمة العيش إلا أن مستواه المادي قليل فهم يعطونه القليل من الفتات ليعيل نفسه وعائلته، فهذا الجندي يمثل صورة الرجل مسلوب الإرادة، الضعيف، المهزوز فلا يرى نفسه كالبشر.

صورة الرجل الفلاح

تعد صورة الفلاح من أطهر الصور التي رسمتها المرأة للرجل في روايتها، فهو محب مخلص متفانٍ أثمر حب الأرض فيه درجة عالية من الوفاء، يرى بقلبه قداسة الأشياء فيقدم في سبيلها كل ما يملك، غير أنه لا يبالي بردة فعل الآخر، فهو يرى الأرض في كل شيء خصوصا المرأة يرى تجليات الأرض في أنوثتها وعطائها الدائم غير المنقطع فهي لا تعرف إلا أن تعطي خير ما عندها غير مبالية بأفعال الآخرين تجاهها، وهو مخلص في حبه أميناً لميثاقه مدافعاً مكافحاً عن كل ما يحب، فعلى الرغم من خذلان المحيطين به لم يصبح جبانا ولم تتغلب عليه غريزته الجنسية ليصبح شهوانيا على الرغم من الحب الكبير عنده للمرأة وقد حاولت سناء الشعلان أن تظهر هذه الصورة بكامل تجلياتها فهي تجمع في طياتها كل الصفات الحسنة التي يمكن أن تجتمع في رجل واحد يعيش على الحب ويموت في سبيله دون أن يسمح للحياة رغم قسوتها وكم الخيانات التي تتخللها أن تسجل عليه موقفا يسيء إليه.

وقد تناولت سناء الشعلان صورة الفلاح في روايتها لتزيد من جمال صورة الرجل، فعندما لبس (هيليوس) حبيب (أرتميس) لباس الفلاح زاد جمالا في عيون حبيبته، وأصبحت عيونه كعيون الفلاح في نظراتها، في حدتها كالصقر في قوتها وفي طيبتها، أصبحت عيون حبيبها تمتلئ بحب يشبه حب الفلاح لأرضه وحبيبته، وتشبه طهر حبيبها وقداسته بطهر الفلاح، "تقول لي بصوت خفيض، ولكن بقوة صوت فلاح أجهد الأرض وما أجهدته: تعبت وأنا أنتظرك "[1]؛ فشبهت حب حبيبها لها بقوة الفلاح وعزيمته التي

[1] الرواية، ص٧٦.

جعلته يحول الأرض البور إلى سهول وجبال خضراء، لقد رسمت للفلاح صورة إيجابية لم تذكر معها بعض عادات الفلاحين الظالمة للمرأة، بل جعلت صورة الفلاح حبيبا مخلصا ورجلا قويا يحفر الصخر دون كلل أو ملل، والسبب الذي دفع الشعلان إلى التركيز على الصورة الإيجابية للفلاح لتسلط الضوء على حب الأرض والوطن والتمسك بهما.

صورة الرجل الفقير

تعد صورة الرجل الفقير في الروايات عامة والرواية النسوية خاصة صورة أساسية ضرورية الحضور في الرواية؛ إذ لا بد من التوقف عندها والخوض في تفاصيلها فلا يمكن أن تغض الطرف عن شريحة عريضة من شرائح المجتمع خصوصا في المجتمعات العربية التي تعاني الفقر وترتفع فيها منسوبات البطالة فهو كغيره من الرجال يسعى إلى الحب وتحقيق رغباته وإشباع نزواته إلا أن الفقر يحول دون تحقيق ذلك، لقد ظهرت صورة الرجل الفقير في الرواية بالعاجز الضعيف فهو غير قادر على أن يحقق طموحاته والفوز بقلب أنثى لأنه يعلم أن الطريق الوحيد إلى ذلك القلب هو فقط من خلال المال الذي مكن غيره من الرجال ممن يملكون المال أن يقيموا علاقات عدة مع غير إمرأة .

ففي رواية السقوط في الشمس جسدت الكاتبة معاناة الرجل الفقير، فهي ترى فيه رجلا فقد جميع متع الدنيا ولم يبق له سوى متعة واحدة وهي النظر إلى النساء والتمتع بجمالهن، ومن الشخصيات التي مثلت الرجل الفقير شخصية أبو علي قاطع التذاكر في القطار الذي حفرت السنين آثارها على وجهه، وحرقت الشمس بشرته، "وبشرته التي تكاد أن تكون سوداء لكثرة ما لوحتها الشمس، فلقمة العيش كثيرا ما تحرق وجوه أصحابها لا سيما إذا كانوا فقراء "[1] فأبو علي تحمل الكثير في سبيل عيش حياة كريمة، وفي سبيل الحصول على لقمة العيش، وقد صورت الشعلان حياة أبو علي على أنها تنحصر فقط بالقطار ونساء القطار، فأبو علي برغم فقره كان محباً للنساء وكانت نظراته تلتهم أجسادهن، وكأن الكاتبة عندما جعلت الرجل الفقير محبا للنساء شهوانيا فهي تريد أن تجعل الرجال كافة يتميزون بهذه الصفة بغض النظر عن ظروفهم المعيشية، فالرغبة بالنساء تتغلب على كل مصاعب الحياة فلا يحول دونها حائل.

ومن الشخصيات الفقيرة الكادحة في رواية السقوط في الشمس كاظم الشاب العراقي الذي خدع حبيبته وأوهمها بأنه من عائلة غنية وأن والده ضابط كبير في العراق، وأخبر

[1] المصدر نفسه، ص٨.

حبيبته فضيلة بأنه طالب يدرس في الجامعة، وقد كذب كاظم على فضيلة خوفا من أن يخسرها ويخسر حبها، فكاظم لم يكن سوى عامل كادح فقير جدا، ووالده مريض عاجز، وكانت فكرته عن النساء خاطئة؛ فكاظم ظن أن فضيلة ستتركه إذا علمت بفقره، وقد صدمت فضيلة من كذبه وخداعه أكثر من فقره، ومع ذلك وعدته بأن تنتظره إلى أن يؤسس نفسه ويعمل ليتزوجها، فيعود كاظم إلى البصرة ليعمل ويبني مستقبله ليكون أهلا للزواج من فضيلة، إلا أن القدر يحطم أحلامه ويجبر كاظم على الذهاب إلى الجيش ويستشهد، ليلقب بعد ذلك بشهيد الحب وشهيد الفقر وظروف الحياة الصعبة، ثم شهيد الانقسام والتطاحن بين الأخوة، ضحية لكل مشاكل المجتمع العربي.

فصورة الرجل الفقير كما رسمتها الشعلان تجعلنا نقف على معاناة الرجل ومسؤوليته في الحياة، فمن الظلم في المجتمع العربي أن ندافع عن المرأة لأنها مظلومة ونتهم الرجل بظلمها، دون أن نلقي نظرة على واقع الرجل وعلى ضغوط الحياة التي أثقلت كاهله، فسناء الشعلان في تجسيدها لهذه الصورة بينت مدى المعاناة والظلم الواقع على الرجل، وكأنها تفتح عيون النساء لكي يشعرن بمعاناة الرجال في المجتمع العربي.

وبعد تحليل صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس لسناء الشعلان نلاحظ اختلافا واضحا في أسلوب الكتابة بين سناء الشعلان والروائيات الأخريات، فرواية المرأة لم تتعاطف مع الرجل فلم نر روائيات يذكرن إيجابيات الرجل ففي الغالب نرى الروائيات يهاجمن الرجل، ولا يبرزن إلا الصورة السلبية له، أما سناء الشعلان فهي لم تهاجم الرجل بل نلاحظ أن بعض النصوص في روايتها السقوط في الشمس ترفع من شأن الرجل بل تقدسه وتقدمه على المرأة، وكانت قد بدأت روايتها بأسطورة آدم وحواء التي تنسب الفضل إلى آدم في وجود حواء " أنت من روح الخالق وأنا نسيبة جسدك وبعض من وشائجه "[1] وقد غلبت الصورة الإيجابية للرجل في رواية السقوط في الشمس، حتى عندما كانت الكاتبة تذكر صورا سلبية كانت تتعاطف مع الرجل وتجعل له عذرا، وقد تعاطفت سناء الشعلان مع الرجل الفقير بشدة فهي جعلت فقر هذا الرجل يشفع له أخطاءه ونظراته للنساء.

على الرغم من حرص الشعلان على تبييض صورة الرجل وإيقاع مختلف الصفات الإيجابية عليها، إلا أنها جعلت المرأة أقوى من الرجل وقدمتها على الرجل في بعض

[1] الرواية، ص٥.

المواضع، ففي صورة المرأة الزوجة تصف صورة الزوج الضعيف الذي تعيله زوجته، و في صورة الرجل المحب نرى الحبيبة قوية تقف إلى جانب حبيبها حتى عندما يخونها تقف إلى جانبه وتواسيه، فالكاتبة تدعو المرأة إلى أن تكون قوية حتى تتخلص من سطوة الرجل وظلم المجتمع؛ لكن بأسلوب مغاير جدا لروايات النساء التي هاجمت الرجل وأساءت إليه في كثير من الأحيان وذلك في سبيل دعوتها إلى تحررها ونيل حقوقها، وهذا ما دعت إليه الشعلان؛ لكن بأسلوب ذكي إيجابي يؤثر في الرجل والمرأة.

ومن اللافت للنظر أن سناء الشعلان قد تجاوزت بعض الصور السيئة للرجل التي ذكرتها الروايات مثل صورة الرجل الشاذ، والرجل المغتصب، والرجل العنيف الذي يضرب زوجته أو ابنته أو أخته، كما تجاوزت صورة الرجل المتدين المهووس بالجنس في روايتها السقوط في الشمس، بل على العكس تماما كان الرجل المتدين في الرواية من أفضل الشخصيات وأرقاهم خلقا وأطيبهم قلبا، وتهدف الكاتبة من ذلك إلى التغيير من خلال الوصول إلى عقول وقلوب القراء وتوجيههم إلى مجتمع يتقبل الآخر وإلى الاقتداء بشخصية الرجل المتدين (أجود) صاحب الخلق السمح والقلب المحب للجميع؛ وبهذا تكون الشعلان أضافت أسلوبا جديدا للروايات، يقوم على سرد الإيجابيات وتجميلها في نظر القارئ.

الخلاصة:

جاء هذا الفصل بعنوان صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس وقد وقفت فيه الباحثة عند مصطلح الأدب النسوي وبيان الفريق المؤيد للمصطلح والفريق المعارض له ومن ثم عرضت لنا الباحثة كيف صورت الكاتبة سناء الشعلان الرجل في روايتها من خلال عدة صور وهي:صورة الرجل الأب، صورة الرجل الزوج، صورة الرجل الأخ، صورة الرجل الخائن، صورة الرجل المناضل، صورة الرجل المحب العاشق، صورة الرجل الشهواني، صورة الرجل الأسطورة، صورة الرجل الجبان، صورة الرجل المتدين، صورة الرجل الظالم، صورة الرجل الفلاح، وأخيرا صورة الرجل الفقير.

الفصل الثالث

الإنعكاس النفسي والسياسي والاجتماعي في رواية السقوط في الشمس

الفصل الثالث

الإنعكاس النفسي والسياسي والاجتماعي في رواية السقوط في الشمس

يُعدُّ الأدب من أهم الفنون التي تجسد الواقع وتصوره وتناقش قضاياه السياسية والاجتماعية والنفسية؛ فالانعكاس في الأدب هو "انعكاس للواقع الاجتماعي، ولكن هذا الانعكاس ليس آليا ولا متوازيا ولا بسيطا، وإنما هو عملية معقدة، فقد تكون الأعمال الأدبية الممثلة للواقع ممتثلة لهذا الواقع وتصالحية معه، أو تكون رؤية تجاوزية تسعى لتغيير العلاقات المجتمعية وهدمها؛ لبناء مجتمع أفضل "[1]؛ فتجسيد الواقع في الأدب يكون إيجابيا وذلك بدعم قيم وعادات جيدة والتشجيع عليها لما تعود به من نفع على ذلك المجتمع مثل تجسيد صورة المثقف والمتعلم وأثرهما في المجتمع وبنائه والحرص على الرفع من مكانتهما، أيضا يحرص على رسم صورة إيجابية لمشاعر المحبة والألفة ومساعدة الغير والوطنية والوفاء، كل هذه الصفات وغيرها ممن تعد انعكاساً ايجابياً في الأدب، وقد يكون الانعكاس سلبيا هدفه تغيير تلك الصفات السلبية في المجتمع وإبراز المشاكل التي يعاني منها من أجل التنبيه إليها في محاولة لمحاربتها واستبدال العادات الإيجابية بها.

وجزء مهم من الأدب الذي سخر من أجل تلك الغايات النبيلة كانت الرواية التي تعدُّ من أهم الفنون التي تعمل على تعميق وعي القارئ بالحياة من خلال تجسيد الواقع حين تعكس رؤية الكاتب ومشاركته قضيته؛ فالرواية تجعل القارئ ينسجم مع أفكار الكاتب التي يعكس فيها الواقع ومشاكله، وواحدة من هذه الروايات التي تعدُّ خير مثال لهذا كانت رواية "السقوط في الشمس " التي حملت العديد من تلك الانعكاسات إن سلبية وإن إيجابية في محاولة من الكاتبة لإبرازها، وفي هذا الفصل من البحث سوف نقف على أبرز الانعكاسات التي حملتها الرواية وقد تمثلت فيما يأتي: الانعكاس النفسي والانعكاس السياسي والانعكاس الاجتماعي، السلبية والإيجابية منها على حد سواء، ثم الوقوف على أبرز النماذج والشخصيات التي مثلت هذه الانعكاسات؟ وما مدى مشابهة أحداث الرواية للواقع ومشكلاته؟

أولا: الانعكاس النفسي

عند تحليل الانعكاس النفسي في الرواية لا بد من التعرف إلى المنهج النفسي وبيان أهميته، ثم نشأته؛ وذلك قبل أن نقف عند تجليات الانعكاس النفسي في رواية السقوط في الشمس، يرتبط علم النفس بالأدب ارتباطا وثيقا؛ فالأدب يركز بشكل كبير على مكنونات النفس ومشاعرها من

[1] شرح نظرية الانعكاس في الأدب SOTOR.COM

حب وخوف وتفاؤل وتشاؤم؛ لذلك نجد الكاتب عندما يكتب يستحضر تجاربه النفسية، ويتأثر بواقعه وحياته منذ طفولته، وكذلك الحال عند النقاد فعند الإزماع على نقد عمل فني ما لا بد لهم من التعرف إلى حالة الكاتب النفسية والمؤثرات المحيطة بها؛ فالكاتب يصف واقعاً نفسياً معيشاً في مجتمعه العام؛ إذ ليس شرطا أن يكون قد صور تجربته الشخصية، لذلك كثيرا ما نجد أعمالا فنية تصور الكثير من المشاعر والصراعات النفسية المجتمعية إلى جانب تجارب الكاتب الشخصية.

يستمد المنهج النفسي "آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي التي أسسها النمساوي (سيغموند فرويد فسر على ضوئها السلوك البشري برده إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور) "[1]؛ فمنطقة اللاشعور عبارة عن رغبات الإنسان التي يخبئها بداخله ويفكر فيها في أحلام اليقظة أو في أحلام النوم ويقوم الكاتب بالبوح بها في أعماله الأدبية المختلفة من شعر ونثر وغيرها.

ترجع نشأة المنهج النفسي إلى الكاتب (سيغموند فرويد)حيث بدت ملامح المنهج النفسي في كتاباته ومؤلفاته واضحة بصورة جلية، ويرى (فرويد) أن العمل الأدبي "موقع أثري له طبقات متراكمة من الدلالة، ولا بد بالتالي من كشف غوامضه وأسراره "[2] فالأدب كان عند فرويد هو تعبير الكاتب عن رغباته وما يدور في عقله الباطن ولا يستطيع فعله أو يكبته في داخله ولا يستطيع التعبير عنه، وكان من أهم القضايا التي اهتم بها (فرويد) تفسير الأحلام باعتبارها أساساً للعقل الباطني ومفتاح الدخول للنفس البشرية، لذلك ركز على اللاشعور وكيف يعبر الإنسان عن الأفكار والرغبات التي تدور في العقل الباطن، إما بالأحلام عند النوم أو أحلام اليقظة والخيال، في حين أن الأديب يعبر عن أحلامه ورغباته من خلال تصويرها وتجسيدها في كتاباته لهذا "فإن كل تعبير (سلوكا أو لغة أو خيالا) هو مجموعة علاقات معقدة تتوسط وتتدخل في كل ما يعتقد المرء أنه يفعله أو يقوله أو يحلم به "[3]وقد بالغ (فرويد) في تحليله النفسي ونظرياته فوصف الأديب بأنه مريض نفسي.

أما عند العرب قديما فقد حوت كتابات الأدباء العرب العديد من التلميحات والإشارات للبعد النفسي وأثره في الكاتب والقارئ على حد سواء، فكان منهم من ركز على نفسية الكاتب وأثرها على موضوع الكتابة وأغراض الشعرمثل الجاحظ وابن قتيبة، ومنهم من تحدث عن أثر الكلام وبلاغته في نفوس المتلقين مثل عبد القاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز).

---

[1] وغليسي ، يوسف : مناهج النقد الأدبي، الطبعة الأولى ،الجزائر : جسور للنشر والتوزيع ٢٠٠٧م ،ص٢٢.
[2] الرويلي ،ميجان واخرون : دليل الناقد الأدبي ، الطبعة الثالثة ،بيروت : المركز الثقافي العربي ٢٠٠٢م ، ص ٣٣٣.
[3] المرجع نفسه ، ص ٣٣٣.

بعد الحديث عن بدايات المنهج النفسي، لا بد أن نوضح أهمية علم النفس في بحثنا، لأننا من خلال توضيح أهمية علم النفس سنصل إلى أهم الانعكاسات النفسية وأهم العناصر التي يهتم بها علم النفس فعلم النفس يهتم ب "سلوك الإنسان أي يصف هذا السلوك ويحاول تفسيره، ونقصد بالسلوك كل ما تصدر عن الفرد من استجابات مختلفة إزاء موقف يواجهه، إزاء مشكلة يحلها أو خطر يهدده، أو قرار يتخذه أو مشروع يخطط له....."[1] يقف علم النفس على أهم المشاعر التي يعايشها الإنسان من خوف وحزن وحب وكره، ويتعمق في الذات الإنسانية ليكشف عن خباياها ومشاكلها، والدراسة النفسية للأدب تساعدنا في خلق أدب جديد[2] وفي هذا البحث سنوضح أهم المشاعر والصراعات النفسية التي انعكست في الرواية على الشخصيات.

الانعكاس النفسي في رواية السقوط في الشمس

إن العلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى إثبات فالنفس هي التي تصنع الأدب وكذلك يصنع الأدب النفس.[3]

ولا بد لنا عند دراسة الانعكاس النفسي داخل الرواية أن نقف على بعض الموضوعات النفسية ونعرّفها ونحللها للتوصل إلى مدى الأثر النفسي وانعكاسه في الرواية وعلى الشخصيات، وسندرس في هذ البحث قضايا عدة متعلقة بالذات والصراع النفسي، والحالات النفسية للشخصيات.

أولا: الذات والصراع النفسي:

-الذات:

هي عبارة عن المشاعر والأحاسيس ومعتقدات النفس، والذات هي التي تحدد الاختلافات النفسية بين شخص وآخر، فالذات هي "نظرة الإنسان لنفسه وكيفية تفكيره وتقييمه لها، والصورة التي تنطبع في ذهنه عن نفسه "[4] فالذات إذاً عبارة عن التعبيرات العاطفية لكل فرد، سواء حب أو كره أو حالة نفسية عاشها كل شخص في طفولته، أو أحداث أثرت على نفسيته خلال مراحل

---

[1] عويضة ، كامل :علم النفس ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٩٦م ، ص٤

[2] عصار، خير الله:مقدمة لعلم النفس الأدبي، الجزائر، مؤسسة بونة للبحوث والنشر، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٧.

[3] إسماعيل، عز الدين: التفسير النفسي للأدب، بيروت، دار العودة، ط٤، ١٩٨١، ص١٣

[4] سلامة خلود : مفهوم الذات ، ٢٠١٩ ، hyatok.com

حياته، وأيضا يمكن أن تكون نظرته لشكله وجسده وصفاته المادية بالإضافة إلى المشاعر والصفات المعنوية الروحية.

والذات داخل السرد الروائي قائمة على المشاعر التي تعيشها الشخصية من خوف وحب وقلق وتشاؤم وتفاؤل ومن أكثر ما يبرز ذات الشخصيات هو الحوارات الداخلية والخارجية في السرد الروائي.

ومن الحالات النفسية التي تعبر عن الذات في السرد الرّوائي:

-التشاؤم:

التشاؤم هو النظر إلى أمور الحياة بطريقة سلبية والتنبؤ بمستقبل سيء، والتشاؤم يعمل على قتل الأحلام والطموح داخل الذات، ويجردها من متع الحياة، كما يصيب الذات نتيجة للضغوطات النفسية أو أحداث وصدمات تعرضت لها الذات، أو بسبب ظروف الحياة الصعبة سواء المادية أو العاطفية، كما يقلل التشاؤم من احترام الذات لنفسها، لذلك نجد الأشخاص المتشائمين يصابون بالاكتئاب الذي يجعلهم ينتقدون أنفسهم، فلا يهتمون بمظهرهم وأناقتهم.

في رواية السقوط في الشمس نجد شعور التشاؤم ينتاب (أرتميس) كلما تخيلت مستقبلها مع حبيبها (هيليوس) بسبب علاقته بشرف فتتخيل نهاية محزنة لحبها معه، ولكن شعور التشاؤم لم يكن يصاحبها دائما، بل كان يتبادر إليها في بعض الأحيان، أيضا نجد شعور التشاؤم وموت الأحلام وعدم الرغبة في الحياة عند (أرتميس) وذلك عندما تأتي لترى حبيبها (هيليوس) في المستشفى بعد ثماني عشرة سنة من الفراق فتعبر عن مشاعرها قائلة: "عود الحياة قد يبس في داخلي من دون شك، وإلا لم أشعر بحطام يسكنني في هذا الشارع الطويل؟ "[1]فراق (أرتميس) عن حبيبها سبب لها التشاؤم وقتل رغبتها في الحياة وسلب شبابها وسعادتها وسنين عمرها ضاعت بالحزن على حبيبها.

-الخوف:

هو حالة مفاجأة تنتاب الذات ورد فعل نتيجة لحدث معين، ونتيجة الشعور بالخطر على الجسم والحياة، ويؤثر الخوف على الجسم، فيحدث تغيرات داخلية مثل زيادة سرعة دقات القلب، التشنج، التصبب عرقا إلا أن الخوف حالة مفاجئة وليست دائمة مثل التشاؤم الذي يصاحب الذات بشكل مستمر، ومن مشاعر الخوف التي انعكست على الشخصيات في رواية السقوط في الشمس، خوف (أرتميس) واضطرابها عندما ذهبت لترى حبيبها بعد فراق دام سنوات،

[1] الرواية، ص١٣٧.

ف(أرتميس) تصف حالتها بسبب التوتر والخوف الذي تشعر به "أشعر بوحدة خرافية في هذا المكان، أكاد أشعر بقدماي تخوران فلا تكادان تعيناني على الوقوف، أمعائي تضطرب، والقيء يكاد يصل إلى أعلى بلعومي.. "[1]

لقد وصفت سناء الشعلان بدقة متناهية أثر الخوف على نفسية الشخصية وعلى جسدها، إن الخوف عادة يؤدي إلى اضطرابات جسدية وألم في أعضاء الجسم، فالكاتبة أبدعت في وصف لحظة الخوف وانعكاسها على (أرتميس) بطلة الرواية، ومن المواقف التي عالجتها سناء الشعلان في قضية الخوف خوف (أرتميس) من نظرات عيسى الشاب الفلسطيني الذي يلاحقها دائما بنظراته، وكذلك خوفها من الشكوى لحبيبها (هيليوس) عن نظرات عيسى فقد خافت من ردة فعل (هيليوس) الذي يغار عليها كثيرا "ليتك يا حبيبي تخلصني من نظراته بطريقة ما، لكنني أخشى أن أشكو لك هذه المطاردة "[2] فهنا بينت الكاتبة ردة فعل الشخصيات وانعكاس العلاقة بين الشخصيات على نفسيتها ف(أرتميس) تخاف عيسى وكذلك تخاف من ردة فعل حبيبها إذا عرف بنظرات عيسى، هنا رسمت سناء الشعلان انعكاسا نفسيا للعلاقات القائمة بين الشخصيات وليس لشخصية واحدة فقط، أيضا من الأشياء التي كانت تخاف منها (أرتميس) المرتفعات فهي تخشى الأماكن العالية ولا تذهب إليها.

ثانيا: الصراع النفسي

الصراع بشكل عام نفسي أو جسدي قديم قدم البشرية،يحدث عندما تتعارض عند الشخص أوامر الواجب وميول النفس[3] ولا بد من وجود طرفين لكي يتم الصراع، فالصراع قائم باختلاف وجهات النظر والقوانين البشرية، وهو "تعارض قوتين إحداهما دافعة والأخرى مانعة، وحياة الكائن البشري لا تخلو من الصراعات النفسية "[4]أو يحدث عندما تتعارض أوامر الواجب وميول النفس عند الشخص.[5]

والصراع النفسي يدور داخل النفس دون أن يطلع عليه أحد، يدور بين نفس الإنسان الجيدة والعقلانية من جهة وبين رغبات الإنسان ونزواته من جهة أخرى، وينقسم الصراع النفسي إلى قسمين:

---

[1] الرواية، ص١٢.
[2] المصدر نفسه، ص٧٥.
[3] موساوي، أحمد:في أدب نجيب الكيلاني أبعاد الصراع وامتداداته، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٨.
[4] صادق يسرية وآخرون :مقتطفات من علم النفس في الكوارث والصدمات والأزمات ، مصر : مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠١٨م ، ص ١٢.
[5] ينظر: موساوي، أحمد:في أدب نجيب الكيلاني أبعاد الصراع وامتداداته، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٨.

-صراع داخلي:

هو الصراع الذي يدور داخل النفس من حوارات وصراعات بين الشخصية وذاتها أو مع غيرها ولكن يكون غير معلن؛ إذ لا تعلمه إلا ذات الشخص، فقد تتخيل الشخصية حبيبها وتحدثه في داخلها، أو نجد الشخصية تحاسب نفسها وتناقش في داخلها على أمر تحتار في فعله فنجد جانبين للشخصية أحدهما يتقبل الأمر والآخر يرفضه وبذلك يتم الصراع النفسي حتى يغلب أحد الطرفين في الصراع النفسي وتستقر الشخصية على أمر واحد، ففي الصراع لا يجتمع أمران معا؛ إذ لا بد من اختيار شيء واحد فقط؛ فالصراع الداخلي "يجري المونولوج داخل الشخصية ومجاله النفسي، أو باطن الشخصية، ويقوم بإدخال القارئ إلى الحياة الداخلية للشخصية، ومن دون تدخل الكاتب "[١]

وفي رواية السقوط في الشمس نجد الكثير من الصراعات النفسية داخل الشخصيات خصوصا (أرتميس) التي كانت في البداية تعيش صراعا مع نفسها لكي لا تحب (هيليوس) وتقنع نفسها بأنها تكرهه "إنني في ذلك اليوم قررت ترك الأكاديمية، ومنع نزول لعنتك علي والعودة إلى بلدي ونسيان كل الدنيا لأنساك أنت بالذات "[٢] فالكاتبة نجحت ومن خلال الصراع الداخلي للشخصيات السمات النفسية لها وعلاقتها بالشخصيات الأخرى وبينت ما يضمرونه تجاه بعضهم.

لقد كانت (أرتميس) خائفة من مصير الحب ونهايته فكانت تحاول الابتعاد عن (هيليوس) وتحاول ألا تلتقي معه على الرغم من عجزها على القيام بذلك؛ فكانت دائما تخوض صراعا داخليا مع نفسها حول هذا الحب وكأن عقلها يقنع قلبها ويحرضه ولكن قلبها لا يستجيب "الليلة الماضية كانت طويلة، طويلة لأنني قضيتها أعاهد نفسي على عدم لقائك، وحتى لو كان لقاؤك قدري فيجب أن أتصدى له "[٣]

[١] https://m.ahewar.org/s.asp?aid=616805&r=0
[٢] الرواية، ص١٦.
[٣] المصدر نفسه، ص٣٣.

-الصراع الخارجي:

يكون بين أكثر من شخص، أو بين شخص وبيئته ومعتقدات مجتمعه، وبذلك يكون الصراع الخارجي ضد قوى خارجية لا علاقة للذات بها، فالصراع الخارجي في الرواية "يقع بين شخصيات الرواية، ويكون طويل المدة أحيانا ومركزيا مصيريا، ويلجأ الروائي إلى الصراع الخارجي أكثر من الداخلي كي يزيد من انفعال القارئ حيث إن الصراع هو النقطة الأكثر تأثيرا في نفس القارئ، وهو اللحظة التي تصل بالقارئ إلى أعلى درجات الانفعال "[١]

وفي رواية السقوط في الشمس ظهر أكثر من صراع بين الشخصيات، ومن أقوى الصراعات وأهمها صراع (أرتميس) مع (هيليوس) من أجل مساعدة عيسى وكفالته فقد صدمها برفضه وخوفه ونظرته للمناضلين السياسيين وقد أمرها بالابتعاد عنه "أرجوك لا تعاودي الحديث في هذا الموضوع، وعذرا أحب أن تقللي من زيارتك لي في الأيام القادمة، أنا لا أريد أية مشاكل مع أحد أتفهمين؟ "[٢]

كما كانت هناك مواجهة بين (أرتميس) وعيسى الذي حذرها من (هيليوس) وقال لها لا تخدعي بطيبته ومظهره ولكنها لم تقتنع بكلامه وغضبت وقالت له أنا أعشقه فوصفها عيسى بالعاهرة "هل قال لي عاهرة؟ نعم قالها، أيصور حبي لك بالعهر؟ ألا يعني العهر مئات العلاقات ومئات الرجال؟ "[٣] نستنتج أن أغلب الصراعات الخارجية في الرواية تدور بين (أرتميس) وباقي الشخصيات فمرة تخوض صراعا مع (هيليوس) وأخرى مع عيسى، كما كان لها صراعات مع شرف التي كانت تبادلها مشاعر الكره والغيرة، فسناء الشعلان جعلت (أرتميس) محور الأحداث والصراعات وكل الشخصيات مرتبطة بها.

البعد النفسي وأثره على الشخصيات

يظهر العديد من الحالات النفسية نتيجة تأثير البعد النفسي على الشخصيات، وتفاعل الشخصيات داخل السرد الروائي، فلا بد لنا من دراسة هذه الحالات التي تظهر على الشخصيات، ومن هذه الحالات النفسية:

١-القلق:

---

[١] Asstory.blogspot.com/2011/04/normal-o-false-false.html?m=1

[٢] الرواية، ص ١١٢.

[٣] المصدر نفسه، ص١٠٧.

القلق هو عبارة عن خوف لكن ليس بسبب شيء وإنما نتيجة خوف غامض دون سبب وحالة من الاضطراب النفسي تصيب الإنسان، وتكون مشاعر القلق ملازمة للشخص لفترة طويلة مثل الخوف من المستقبل.

وينقسم القلق إلى ثلاثة أقسام:

- القلق المرضي: وهذا القلق غير غامض بل محدد كالخوف من الأماكن المرتفعة أو الخوف من الزواحف والحيوانات.
- القلق الهستيري: وهو حالة قوية من القلق يظهر على صاحبها أعراض كالرعشة وصعوبة التنفس والتشنج والإغماء، وهذه الأعراض تحل بديلا للقلق، وهذا النوع من القلق يبالغ فيه الشخص في خوفه من الأشياء ويفقد السيطرة على نفسه وأعصابه.
- القلق الوجودي: وهذا القلق يأتي بعدة أشكال فهناك القلق من الموت ومصير الإنسان بعد الموت، أما الشكل الثاني لهذا القلق فيكون أخلاقياً قائماً على الخوف من الذنب وجزاء هذا الذنب، والشكل الثالث يكون خوف الإنسان من الخواء الروحي والحياة بلا معنى، وكان من بعض الفلاسفة من فسر الخوف الوجودي بأنه خوف من الحرية والاختيار فكل إنسان يقوم بخلق سلوك جديد أو عادة جديدة هو حر في اختياره ولكن الخوف والقلق من أن يحتذي الآخرون بسلوكه فيكون هو مسؤول عما حدث معهم ويتحمل مسؤولية وتوابع هذا الفعل.

نجد الكثير من مشاعر القلق في رواية السقوط في الشمس، فنلاحظ أن القلق كان من أبرز المشاعر التي انعكست على الشخصيات، فهم دائما قلقون من المجهول وماذا يخبئ لهم القدر، (أرتميس) دائما قلقة بشأن حبها ونهايته، وقلقة من علاقة (هيليوس) وشرف، وكذلك فضيلة التي كانت تفكر بكاظم وتخشى عليه بسبب سفره إلى البصرة، والضابط سعادة الذي يفكر في مستقبل أبنائه ويقلق من أجلهم، أيضا مروة التي كانت شديدة القلق والتوتر قبل أن تؤدي دورها في تمثيل المسرحيات "وجهها شاحب لا بد أنها قلقة بشأن هذا اليوم "[1]، وأنس التي اختفى حبيبها بعدما أعطته النقود ولم يعد فقد كانت دائما متوترة وقلقة بشأنه إلى أن اكتشفت أنه خدعها وعرفت حقيقته.

ومن المواقف التي انعكس القلق فيها على (أرتميس)عندما ذهبت لتحضر عرس أنس وعادت من العرس لترى (هيليوس) لكنها لم تجده في مرسمه كعادته "أتمنى أن أسمع صوتك

[1] الرواية، ص١٢٩.

ولكن لا إجابة، قلبي يحدثني بأن مكروها قد أصابك "[1]فمشاعر القلق كثيرة في رواية السقوط في الشمس ونجدها عند جميع الشخصيات بلا استثناء، وكأن سناء الشعلان عندما جعلت القلق يسيطر على الشخصيات في الرواية كانت تمهد للنهاية كل قصة في روايتها فالنهايات كانت حزينة ولم تكن كما تتمنى الشخصيات، فكل المحبين في الرواية تفرقوا لقد فرقهم الموت منهم فضيلة التي خطف الموت حبيبها كاظم، و(أرتميس) التي فرقها القدر وحمل شرف عن حبيبها، فالقلق كان تمهيدا لهذا الفراق وكان حدس الشخصيات وشعورهم في مكانه ولم يكن عبثا.

٢-الحزن:

وهو عبارة عن مشاعر غير سارة نتيجة أحداث سيئة يتعرض لها الإنسان، مثل الفراق والمرض والخيانة والظلم، ويعبر الإنسان عن حزنه بالبكاء والتأوه والسكون وعدم الرغبة بممارسة النشاطات اليومية. وهناك حزن يكون بسبب حدث أو صدمة في حياة الإنسان ويزول مع الوقت، وحزن يستمر مع الإنسان في جميع أوقاته ويتطور ليصبح اكتئاباً وحزناً لمجرد وجود الشخص في هذا العالم.

وهناك الحزن الرومنتيكي وهذا الحزن يكون نتاج عدم الرضا بالواقع، وخيبة الأمل من البيئة التي يعيش فيها الفرد فالحزن الرومانتيكي ليس "بالحزن الصارخ القبيح، بل هو ضرب من الألم الوجداني الهادئ، ألم شاعري رقيق، يجلب العطف "[2]فهذا الحزن عبارة عن تعاطف والشعور بهموم الآخرين والحزن للحوادث والحروب التي يتعرض لها الناس.

إلى جانب مشاعر القلق في رواية السقوط في الشمس، نجد أيضا الكثير من مشاعر الحزن والألم الذي يسببه فراق الأحبة، فسعادة كان يسكنه الحزن على حال الشعوب العربية وعلى هزيمة الجيوش العربية التي فشلت في تحرير فلسطين، وفضيلة التي بكت حبيبها الشهيد وحزنت على فراقه حزنا شديدا، أما (أرتميس) فكانت من أكثرهم حزنا على فراق حبيبها، فكل الشخصيات عاشوا حياتهم ونسوا حزنهم إلا (أرتميس) كان الحزن مرافقا لها في جميع لحظات حياتها فلم تنس حبيبها أبدا، ف(أرتميس) ترى نفسها "ميتة، أنا محترقة، أنا ملعونة "[3]فقد سلبها الحزن صحتها وشبابها وجمالها ولم تذق طعم السعادة ما تبقى من حياتها.

---

[1] الرواية، ص٩٤.
[2] عبد الحليم ، محمد : الشخصية الرومانتيكية والحب الرومانتيكي ، مجلة الرسالة ، العدد ٩٥٨ ، ص ١٢.
[3] الرواية ، ص٢٥٩.

٣-الحب:

هو عبارة عن مشاعر إيجابية، تملأ النفس تفاؤلا وأملا، فهناك حب الأم والأخ والأب وحب الزوجة وهناك درجات أكثر لمشاعر الحب مثل العشق، والحب دائما يدفع الأشخاص المحبين إلى التحلي بالقيم والأخلاق الحسنة، ويوطد علاقات المساعدة والإيثار في المجتمع، وهناك نوعان من الحب، حب الأشخاص لبعضهم، وحب القيم والمبادئ مثل حب الوطن.

ففي الرواية كانت (أرتميس) عاشقة ل(هيليوس) تحبه بكل صفاته السيئة والإيجابية، كما نجد الكثير من مشاعر الحب عند الشخصيات، فكلهم جرب العشق، مثل مشاعر الحب بين (أرتميس) وصديقاتها، وأيضا حب (أرتميس) لعائلتها أمها أبيها وجدتها، وسعادة أيضا الذي يحب عائلته، والكثير من مشاعر الحب في رواية السقوط في الشمس فالرواية رواية عشق وحب لاحظنا فيها انعكاس الحب على الشخصيات وآثاره عليهم ف(أرتميس) كان الحب يعيد إليها حيويتها وشبابها، ويملأ قلبها بالسعادة "أنا سألقاك، يا لها من فرحة! ليتني أهدي البشر كلهم أزهارا ابتهاجا بلقائك، ليتني أخبر ذلك البائع المتجهم بسعادتي "[١] فسناء الشعلان بينت ما يفعله الحب بالشخصيات والأثر الذي يتركه عليهم والسعادة التي يملأ بها قلوبهم، كما بينت الفرق بين الآثار التي يحفرها الحزن على الشخصيات وبين أثر السعادة التي يتركها الحب على الشخصيات فنفس الشخصية عايشت الفرح بسبب حبها وكذلك شعرت بالحزن بسبب نفس الحب.

٤-الكراهية:

مشاعر الكراهية في رواية السقوط في الشمس كانت جلية في علاقة شرف ب(أرتميس) فكلاهما كان يتبادل مشاعر الكره والغيرة نفسها؛ بسبب الصراع على الفوز بحب (هيليوس) ودائما ما كانت شرف تستفز (أرتميس) وتتوعدها بالانتقام، شرف كانت رمزا للكره والخبث والخداع، ومن الشخصيات الأخرى التي كرهتها (أرتميس) نمر نصار الذي كان يشبه شرف في صفاته وكان يستغل ماله ليقيم العلاقات مع النساء أمثال شرف، أيضا اجتمعت الشخصيات في الكره في شخصية الضابط الذي حقق مع عيسى وأصدقائه وسجنهم، فكرهوا ظلمه وجهله وطباعه وأخلاقه السيئة.

٥-الاحترام والتقدير:

من الشخصيات التي كانت محلا للاحترام والتقدير في رواية السقوط في الشمس (مشعل الخضرا) وهو أستاذ جامعي كان ينصر المظلومين، وكان شجاعا في قول الحق لا يخشى السجان

[١] الرواية، ص١٦٧.

ولا يخشى على مركزه الاجتماعي، وكان قد كفل عيسى وأصدقاءه وأخرجهم من السجن وبموقفه هذا حاز على احترام الجميع وتقديرهم، وكأن سناء الشعلان تعمدت أن تخصص مشاعر الاحترام فقط للشخصية مشعل الخضرا وقد فعلت ذلك لتبين أهمية نصر المظلومين والوقوف إلى جانب الحق.

٦-الخذلان والخيبة:

انعكس شعور الخذلان والخيبة على أكثر من شخصية في رواية السقوط في الشمس، بداية تمثلت في أُنْس التي كانت تشعر بخيبة وخذلان كبير بسبب الخديعة التي تعرضت لها من حبيبها الذي سرق نقودها و لم يعد، أيضا (أرتميس) خذلها حبيبها أكثر من مرة، المرة الأولى عندما رفض طلبها بمساعدة عيسى واكتشفت جبنه، فخذلها أمام أصدقائها ولم يلبِ طلبها بنصرة عيسى فخاب أملها وتحطمت الصورة التي رسمتها له، وقد خذلها مرة أخرى عندما قرر الزواج من شرف بسبب حملها منه، وهذا الخذلان كان صفعة ل(أرتميس)، بل كان حزنا لها مدى الحياة "لا بأس لقد اعتدت على عالم من الخذلان تزرعني فيه "؛ فحبيب (أرتميس) كان دائم الخذلان لها وكان واثقا من حبها وأنه مهما فعل فلن تكرهه بل ستبقى تعشقه.

من خلال ما سبق نخلص إلى أن الكاتبة سناء الشعلان وظفت جميع الحالات النفسية وجعلت الشخصيات تعايش تلك الحالات من حب وكره و فرح وحزن وقلق وخوف، كان الغالب على الرواية في البداية مشاعر الحب والسعادة، ولكن مع مرور الوقت داخل السرد يسيطر الحزن على الشخصيات بسبب الفراق فالحب كان سببا للسعادة والحزن داخل الرواية، ومن الحالات التي سيطرت على الشخصيات الخوف والقلق دائما من المصير المجهول الذي ينتظر حبهم.

[١] الرواية، ص٢٥٦.

الإنعكاس السياسي في رواية السقوط في الشمس

شغل مصطلح السياسة حيزا كبيرا في الأدب بمختلف أشكاله، لذلك نرى أثر السياسة في الشعر والنثر وفي النقد أيضا، ومرد ذلك راجع إلى الواقع العربي المقيد المحروم من الحرية، لذلك كان المتنفس الوحيد هو في الأدب بشكل عام و الرواية بشكل خاص التي جسدت الواقع السياسي في الوطن العربي.

فالسياسة عبارة عن العلاقات القائمة بين المجتمع وحكام المجتمع والقوانين التي يطبقها الحكام على الناس وعلى موارد الدولة ومناشئها.

الرواية السياسية:

يغلب على أحداث الرواية السياسية الأفكار السياسية أكثر من مواضيع العشق والمجتمع وغيرها فالرواية السياسية هي الرواية "التي تلعب القضايا والموضوعات السياسية فيها دور الغالب بشكل صريح أو رمزي، وكاتب الرواية السياسية ليس منتميا -بالضرورة-إلى حزب من الأحزاب السياسية لكنه (صاحب أيديولوجيا) يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني "[١]

تقوم الرواية السياسية على نقض الحكومات وتدعو للتحرر من قيود السلطة، وتحارب تكميم الأفواه وتدعو إلى حرية الرأي، لذلك تعد الروايات السياسية روايات معارضة للحكومات ولكن معارضة بالقلم والكتابة لا بالإضرابات والثورات، فهدف الكاتب من الكتابة عن السياسة هو تحريك الشعوب وتوجيهها وإيقاظها من سباتها وليزيد من وعي الناس ودرايتها بحقوقها، فالأدب يُعدُّ وسيلة من وسائل التحرر، ونيل الحقوق، وقد أصبحت السياسة "محورا مهماً من محاور الأدب العربي المعاصر بصفة عامة وفنون السرد بصفة خاصة؛ إذ لم يكن أمام المثقف العربي من سبيل إلا أن يلجأ إلى فنون السرد (يحكي) من خلال منظومتها أوجاعه وآلامه "[٢]

وقد ظهرت مواضيع سياسية عدة في الروايات العربية بشكل عام سياسية أو غير سياسية، ومثال ذلك الظهور للبعد السياسي تمثل في رواية السقوط في الشمس على الرغم من أن الرواية عبارة عن رواية عشق إلا أن الواقع السياسي العربي يفرض على الكاتب أن يجسده في كتاباته، وسناء الشعلان كاتبة أردنية من أصل فلسطيني ونرى في روايتها تأثرا ملحوظا بالسياسة فنجدها تطرقت للحديث عن المناضل الفلسطيني بشكل خاص وإلى وضع فلسطين بشكل عام، ومن أهم

[١] وادي، طه: الرواية السياسية ، مصر : الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان ، ص٦.
[٢] المصدر نفسه، ص ٢.

الأبعاد السياسية التي جسدتها الروائية سناء الشعلان في رواية السقوط في الشمس تمثلت فيما يأتي:

أولا: المناضل العربي والفلسطيني:

صورة المناضل العربي محفورة في وجدان كل عربي، والمعارك التي خاضها المناضلون ضد الصهاينة كثيرة، مثل حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣، وحرب لبنان ١٩٨٢، ومعركة الكرامة بالأردن، كل هذه الحروب نرى المناضل العربي يقف ببسالة ويتحدى بطش العدو على أمل تحرير فلسطين، ودفاعا عن باقي الدول العربية واستشهد الكثير من المناضلين وجرح أيضا الكثير، وقد تمثل ذلك في رواية السقوط في الشمس في شخصية الضابط (سعادة) المناضل العربي الغيور على أمته والمحب لوطنه كان سعادة ضابطاً في الجيش العربي يحارب العدو الصهيوني ويحرس حدود وطنه وبرغم تقاعده ومرضه ظلت روحه مرتبطة بذكرياته أيام العمل العسكري وقد ملأ بيته بالكثير من الصور للمناضلين ولرموز النضال في الوطن العربي والعالم مثل صورة جمال عبد الناصر وصورة جيفارا وكلاهما رمز للتحرر والثورة .

كما ظهرت شخصية عيسى الشاب الفلسطيني الذي يقضي أغلب أيامه في السجون فقد جرب سجن الصهاينة وسجن العرب ومع ذلك لم يجبن ولم يتوانَ في الدفاع عن قضيته وفي الكتابة عنها في الجامعة برغم ما يدفعه من ثمن تعبيره عن حبه لوطنه.

ثانيا: الحكومات العربية

نرى انعكاسا للواقع العربي ولسياسة الحكومات العربية في رواية السقوط في الشمس، فالحكومات العربية كما صورتها سناء الشعلان تعمل على تكميم الأفواه وتحرص على زج الشباب الجامعي النشط سياسياً في السجون فنرى أكثر من انعكاس في هذه الصورة؛ فهناك انعكاس للسجن والسجان وما يتعرض له الشاب العربي من ذل وتعذيب وتنكيل في السجون العربية فعيسى وأصدقاؤه قالوا عن السجانين "أولاد الزانية، والله كأنهم يهود "[١]ففي هذا التشبيه سناء الشعلان ترى أن الحكومات العربية لا تقل ظلما وبطشا عن العدو الصهيوني، فهذه الحكومات شكلت لتخدم الصهاينة وما هي إلا احتلال آخر للوطن العربي، فكأنها تشير إلى أن الوطن العربي محتل كفلسطين ومسلوب الحرية كالشعب الفلسطيني ولا يقل معاناة عنه.

وفي موضع آخر في الرواية تنتقد سناء الشعلان السياسية التي تتبعها هذه الحكومات، "لو أن هذه السجون تحول إلى مستشفيات مجانية لأصبحت شعوبنا من أكثر الشعوب تمتعا بالصحة،

[١] الرواية، ص١١٨.

لو أن معتقلات الأحرار أصبحت سجونا إصلاحية للمجرمين تهذبهم وتعدهم أفرادا محبين للوطن لانعدم الخوف في بلادنا، لو أن هذا العدد الغفير من العسكريين وجه إلى ساحة القتال بدل مطاردة الكلمة وسحق الصيحة لحررت بلاد العرب والمسلمين منذ أكثر من نصف قرن "[1] هنا نجد انعكاسا مطابقا وشاملا جدا لما تعانيه كل الدول العربية من سوء المنشآت الصحية ومن انعدام للأمن وكيف توجه جهود الجيش والسلطات نحو كبت الشعوب وسلب حريتهم، ولا نرى توجها نحو بناء مستقبل أمني وصحي وتعليمي أفضل بل أن الحكومات العربية تسهم بشكل كبير في تراجع كافة مناحي الحياة للأسوأ.

ظهرت أيضا صورة الضباط العرب والسجانين وقد عكستها بشكل مطابق للواقع وصورت تعاملهم مع السجناء و صورت مدى التخلف الذي يعيشونه والظلم الذي يظلمونه للناس وكيف أنهم مسلوبي الإرادة لا رأي لهم يسيرهم قادتهم.

ثالثا: حرب عام ١٩٦٧:

ذكرت سناء الشعلان في حديثها عن شخصية سعادة حرب عام ١٩٦٧ ولكن لا نرى وجودا كثير لصورة حرب عام ١٩٦٧ فقط مجرد ذكر لهزيمة حزيران وأثرها على سعادة الذي أصيب بشلل نصفي نتيجة حزنه وصدمته من الهزيمة التي تعرضت لها الشعوب العربية وبسبب استيلاء الصهاينة على جزء من الدول العربية.

رابعا: الشعب الأرمني:

تعرض الشعب الأرمني لإبادة جماعية من قِبَل العثمانيين عام ١٩١٥ وتشرد جزء كبير منهم في العديد من الدول الأوروبية، وسيطر العثمانيون على أرمينيا وجعلوها جزءاً من الدولة العثمانية، وفي رواية السقوط في الشمس ركزت سناء الشعلان على قضية الشعب الأرمني، وقد جسدت صورة هذا الشعب في نورما التي لم تنفك عن ذكر مأساة شعبها وتتعاطف مع عيسى في قضيته بسبب الشبه بينهما في المعاناة والألم، نورما كانت شديدة الانتماء لشعبها ولغتها ودينها المسيحي فكانت تصلي صلاتها باللغة الأرمينية وكانت تحدث (أرتميس) عن شعبها ومأساتهم وعن عادات الشعب الأرمني، "عام ١٩١٤ تاريخ محفور في ذاكرة الوجدان الأرمني وفي وجدان نورما، هذا اليوم هو تاريخ مذبحة بشعة ضاع ضحيتها آلاف الأرمن في مذبحة

[1] الرواية، ص١١٥.

جماعية أعدت لهم في موطنهم... "[1]وقد ركزت سناء الشعلان على مأساة هذا الشعب وذكرتها في أكثر من مكان وجعلت لشخصية نورما حضورا لافتاً لكي تشد أنظاراً لقارئ لهذه القضية.

من خلال قراءة الرواية نستنتج أن سناء الشعلان تنظر للدولة العثمانية على أنها احتلال ظالم، قائم على العنصرية، وقد ذكرت في موضع آخر شيئا عن لواء الإسكندرونة الذي ضمه الإنتداب الفرنسي لتركيا وقد قامت تركيا بطرد العرب والأرمن منه ونشرت قواتها فيه ولكن لواء الإسكندرونة بالأصل منطقة عربية تابعة لسوريا "عندما تقول فضيلة أنها قد ولدت في لواء الإسكندرونة، لا تنس أبدا أن تلحق الإسكندرونة بكلمة المحتل... "[2]ونلاحظ أن سناء الشعلان تفخر بعروبتها وتنظر للدولة العثمانية بأنها دولة محتلة تحارب القومية العربية واللغة العربية، فسناء الشعلان في نظرتها للأتراك والدولة العثمانية تعكس رأي جزء من الشارع العربي في رؤيته للحكم العثماني ولكن ليس رأي الكل العربي.

خامسا: الشعب الفلسطيني:

تعكس رواية السقوط في الشمس الواقع الفلسطيني وتجسده، وتصور معاناة شعبه، فسناء الشعلان فلسطينية الأصل فمن الطبيعي أن نرى في كتاباتها تجسيد الوضع الفلسطيني وتعكس صورة المحتل وسلبه، ونرى في شخصية عيسى تجسيداً للمناضل الفلسطيني الذي لا تفارق فلسطين ذاكرته حتى لو ذهب إلى مكان آخر، فعيسى ظل يكتب عن فلسطين في الغربة وتعرض للسجن بسبب حبه لوطنه، وأيضا كانت فلسطين حاضرة في فنه فكانت كل تماثيله التي يشكلها تحاكي الواقع الفلسطيني.

سابعا:الحرب الطائفية بين العراق وإيران:

قامت هذه الحرب على اختلاف المذاهب والانقسام بين سني وشيعي وقد عانت العراق كثيرا من الحروب الطائفية سواء مع إيران أو الحروب الأهلية داخل العراق والتي أدت إلى المجازر والمذابح بحق المدنيين وكان كل مذهب يقوم بتفجيرات في المدنيين الذين ينتمون إلى مذهب آخر.

في رواية السقوط في الشمس كان كاظم ضحية للحرب الطائفية فعندما عاد إلى البصرة استدعاه الجيش ليحارب ضد إيران واستشهد في هذه الحرب، وفي الرواية تسأل (أرتميس)

[1] الرواية، ص١٠٩.
[2] الرواية، ص٢٥٠.

نفسها "أيكون شهيدا من يقاتل مسلما مثله، فيقتل ولعله قد قتل مسلما قبل ذلك؟ ألم يعلموننا في المدارس أن المسلم سند للمسلم، لا يحل له دمه أو عرضه أو ماله؟ أم أن ما يعلم في المدارس يختلف عما يدور في أروقة السياسيين؟ .."[1]ففي الرواية وصفت كاظماً بأنه شهيد للاستعباد والتطاحن السياسي، فالكاتبة ترى أن التفريق بين المسلمين حسب الطوائف ما هو إلا تخلف واستعباد للشعوب العربية وهو فكر استعماري يؤدي إلى حروب أهلية تعمل على تخريب الوطن العربي وتجعله منقسما لا يتقدم ولا يتطور ولا يستغل موارده بل يبقى يفكر في المذاهب والعنصرية.

ونستنتج أن الرواية كانت حافلة بالانعكاسات السياسية، فالكاتبة متأثرة جدا بالوضع السياسي العربي لهذا ركزت على البعد السياسي.

[1] الرواية، ص٢٥١.

الإنعكاس الاجتماعي في رواية السقوط في الشمس:

يواجه الوطن العربي الكثير من المشاكل والعادات الاجتماعية التي يزداد تأثيرها يوما بعد يوم في المجتمع وتطوره، وقد انعكست هذه المشاكل الاجتماعية على الأدب، فالانعكاسية الاجتماعية هي "أننا نقوم على الدوام بالتفكير في الظروف التي تكتنف حياتنا في تأملها والتمعن فيها، بما في ذلك أنماط السلوك والممارسات والأفكار التي نزاولها أو نحملها في حياتنا اليومية "[1] فعلم الاجتماع يقوم بتحليل المجتمع وتصنيفه إلى فئات ودراسة أثر الظروف في المجتمع والمشاكل التي يعاني منها أفراد المجتمع، ويقسم المجتمع إلى طبقات وأثر هذه الطبقات وعلاقتها ببعضها، فهناك نظريات في علم الاجتماع ترى "الحياة الاجتماعية من خلال أفكار البشر، خاصة من خلال معاييرهم وقيمهم. فالمعايير هي تلك القواعد المقبولة اجتماعيا التي يستخدمها البشر في تقرير أفعالهم؛ أما القيم فأفضل وصف لها هو أنها ما يعتقده البشر عما يجب أن تكون عليه الحياة "[2]

هناك الكثير من المشاكل التي يواجهها المجتمع العربي، مثل البطالة، الفقر، اليتم، الجهل، العادات والتقاليد البالية، وفي هذا البحث سنقف على أهم الانعكاسات الاجتماعية التي وظفتها الكاتبة في السرد الروائي، وما مدى تأثر الكاتبة بالمشاكل التي يواجهها المجتمع العربي.

أهم الانعكاسات الاجتماعية في رواية السقوط في الشمس

كما جُلِّ الروايات لا بد من وجود انعكاس للواقع ومشكلاته في رواية السقوط في الشمس، فقد صورت الروائية سناء الشعلان بعض المشكلات الاجتماعية في المجتمع العربي، ومن أهم هذه الانعكاسات:

- أولا: الفقر: يعد الفقر من أكثر المشاكل الاجتماعية في المجتمع العربي، وقد وجدنا هذا الانعكاس داخل رواية السقوط في الشمس، وقد جسدت سناء الشعلان الفقر في أكثر من موضع وأكثر من شخصية سواء رئيسة أو ثانوية، ففي بداية الرواية تحدثت عن العم أبي علي قاطع التذاكر وكيف حفر التعب والفقر آثاره على وجهه، وأيضا جسدت معاناة الفقراء بشخصية كاظم الذي كان وضعه ووضع أسرته سيئا، وكيف حرمه فقره من

[1] غدنز أنتوني : علم الاجتماع ، الطبعة الرابعة ، تر:الصياغ فايز ،بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ، ص٤١.
[2] كريب ، أيان : النظرية الاجتماعية ، تر: غلوم محمد ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٩٧٨م ، ص ٦٣.

الزواج من فضيلة فذهب ليعمل ويكسب المال من أجلها لكنه استشهد، وأيضا سعادة كان فقيرا وبيته وطعامه متواضع لكنه كان طيبا كريما.

وصورت الشعلان التعب واليأس الذي يشعر به الفقراء، وأنهم حرموا ملذات الحياة كافة، وسبب تركيزها على مشكلة الفقر هو مدى الانتشار الواسع للفقر في الوطن العربي، وأثر الفقر على المجتمع. ومن أكثر الشخصيات تعاطفا مع الفقير كانت صديقة (أرتميس) أسرار فهي تقول لأرتميس "أنا لا أبتسم لأي رجل، أما أولئك الغلابة فابتسم لهم عن عمد لأهبهم لحظة سعادة، يستحقون ابتسامة تمسح عنهم غبار حياتهم الصعبة، ابتسامتي تسعدهم، أشعر بذلك، وترد لهم الثقة برجولتهم المسحوقة تحت أعباء الحياة، يستحقون ابتسامة أليس كذلك؟ أم أن الكعكة في يد اليتيم عجبه؟ "[1].

- ثانيا: اليتم: انعكست آثار اليتم النفسية والمادية في شخصية شرف و (هيليوس)، (هيليوس) برغم تميزه ووصوله لهدفه فهو أستاذ جامعي إلا أن بداخله طفل صغير يشتاق لأبيه ويشعر بالنقص لأنه عاش طفولته بلا أب يدلله ويحميه ويكون سندا له في الحياة، وكان دائم التعاطف مع شرف لأنها مثله عاشت بلا أب يسندها ويدللها.

شرف كانت ضحية اليتم، وكانت لا تجد أحدا يلبي لها احتياجاتها المادية مما دفعها لإقامة العلاقات مع الرجال من أجل المال، شرف كانت خالية من العواطف لا يهمها إلا المال، وكل هذه الصفات السيئة كانت بسبب شعورها بالنقص وأن المرأة من دون أب ضعيفة لا سند لها. "شرف امرأة ضعيفة، عاشت حياة صعبة، لم تعرف أبا، حلمت به دائما "[2]

- ثالثا: العادات والتقاليد: نجد في رواية السقوط في الشمس انعكاساً لبعض العادات والتقاليد لكن بشكل ضئيل، فالشخصيات في رواية السقوط في الشمس الغالب عليها التحرر وعدم الالتزام بالعادات المتشددة، لكن نجد بين السطور بعض من معتقدات المجتمعات العربية، فـ(أرتميس) عند سفرها إلى إيطاليا مع حبيبها تعجبها عاداتهم وأنهم لا يحتاجون لوثيقة زواج لمعرفة العلاقة التي تربطها ب(هيليوس) وأن العشق محلل في بلاد الغرب على عكس الدول العربية فـ(أرتميس) تقول "في هذه البلاد لا يحتاجون إلى ورقة صفراء يوقع عليها رجل دين، ويشهد عليها غريبان كي يباركون العشق "[3]فهنا تعكس العادات المتبعة في مراسم الزواج في الدول العربية.

---

[1] الرواية، ص٨٣.
[2] الرواية، ص٢٠٧.
[3] الرواية، ص٢٢٣.

وأيضا نجد انتقادا للشعوب العربية وكيف أنها تحارب الحب في كلام نورما التي تقول "في بلادكم تطعمون الحب للنار، تلعنونه، تخفونه كأنه خطيئة، تفخرون بأحقادكم وكرهكم، أما حبكم فتخجلون منه، فيخجل منكم "[1]نورما هنا تنتقد العرب ومحاربتهم للحب وتقارن الشعوب العربية مع الشعب الأرمني الذي يقدس الحب، ولا يوجد زواج من دون حب في بلادهم، وفي بلادهم يعلنون عن حبهم بالاحتفالات والزهور، ومن العادات عند الأرمن أنه يجب على العريس أن يخطف عروسه قبل الزواج منها ليؤكد لهم رغبته الزواج منها وحبه لها.

نستنتج من هذا الانعكاس أن سناء الشعلان تشجع على الحب وتنتقد العادات التي تحارب الحب، فالشعلان هنا تدعو إلى التحرر من العادات والتقاليد التي تقيد الرجل والمرأة وتمنعهم من الشعور بفرحة الحب.

وأيضا من الأمور التي ذكرتها سناء الشعلان في روايتها الحجاب من خلال شخصية أنس التي كانت غير محجبة ولكن عندما تزوجت رجلا متدينا لبست الحجاب ف (أرتميس) تقول مستغربة "تصوري يا أسرار أنها أخفت شعرها الجميل تحت قطعة قماش "فهنا (أرتميس) تستنكر فعل أنس وأنها تقول لا أحد يستحق التمتع بجمالها إلا زوجها، ولكن (أرتميس) تدعو لها بالسعادة مهما كانت توجهاتها، هنا سناء الشعلان مع أنها محجبة تبين وجهة نظر غير المحجبات في الحجاب، وأيضا تدعو إلى تقبل أطياف المجتمع كافة لبعضهم.

- رابعا: السحر والمشعوذون: ظاهرة السحر والشعوذة منتشرة بكثرة في الوطن العربي، لذلك نجد الكاتبة ذكرت هذه الظاهرة في روايتها من خلال شخصية (أرتميس) التي أنهكها الفراق عن حبيبها وأفقد حيويتها وصحتها فظن والديها وجدتها أن أحدا قد عمل لها سحرا ودفنه تحت شجرة الياسمين، فقاموا باقتلاع الشجرة وترك بيتهم فتارة يقول لهم المشعوذون أن سحرا قد دفن تحت شجرة الياسمين وتارة أخرى يقولون إن عينا أصابت بيتهم ولا بد من تغييره، وكان المشعوذون يعطون (أرتميس) أعشابا وموادَّ لتشربها "طوال السنين آمنت جدتي بأن سحرا قد أصابني أو أن جنا شريرا قد سكن جسدي.. "[2] نستنتج أن الكاتبة هنا تقوم بنقد المجتمع العربي الذي يلجأ للمشعوذين لحل مشكلاتهم وأيضا تبين أن الناس دائما يعتقدون أن سبب مشاكلهم السحر والحسد ولا يفكرون بشيء آخر.

[1] الرواية، ص١٢٠.
[2] الرواية، ص٢٦١.

كما ظهرت قضية قراءة الفنجان، ففي بداية الرواية كان الضابط سعادة يقرأ الفنجان ويقول لأنس بأن حبيبها سيعود ليتزوجها ولكن في النهاية يخدعها حبيبها ولا يعود، نجد أن الكاتبة أظهرت فشل تنبؤات المشعوذين وكذبهم وأنهم لا يعرفون شيئا وهنا لتلفت القارئ إلى ضرورة ترك المجتمع لهذه الظاهرة السيئة وعدم ذهابهم للمشعوذين ونبذهم بل محاربتهم.

- خامسا: المتسولون: نجد في الرواية صورة للأطفال المتسولين الذين يطلبون المال من الناس، فعندما كانت (أرتميس) تذهب إلى الجامعة كانت تلتقي بالأطفال المتسولين وتعطيهم النقود وكانوا يكررون عليها عبارتهم المشهورة "وحياة الغالي عندك صدقة "[1]وقد وصفت الكاتبة الحالة المزرية للأطفال المتسولين في البرد القارس من دون حذاء وبملابس رثة وأيضا أشارت إلى كثرة وجود المتسولين.
- سادسا: الأسرة: صورة الأسرة في الرواية كانت صورة إيجابية، مثالية كلها حب وعطف، فـ(أرتميس) تحب أسرتها ودائما تتحدث عن الحب بين أمها وأبيها، وأيضا هناك أسرة سعادة أسرة مترابطة بسيطة يحبون بعضهم ويعطفون على بعضهم، وقد بينت الكاتبة أهمية الأسرة في روايتها من خلال كلام فضيلة ل(أرتميس) التي قالت أنها لن تتخلى عن أسرتها من أجل حبها فعائلتها أهم شيء في حياتها، والسبب الذي دفع الكاتبة لتعكس الصورة الإيجابية للأسرة هو وجود الكثير من الأسر التعيسة والمتفككة في المجتمع العربي فهي تدعو في هذه الصورة إلى التمسك بالأسرة وتبين مدى أهمية الأسرة فـ(أرتميس) عندما كانت تشعر بالحزن والوحدة كانت تشتاق لعائلتها وحبهم والأمان الذي تشعره بينهم.

الخلاصة:

جاء هذا الفصل بعنوان الانعكاس النفسي والاجتماعي والسياسي للمرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس حيث عرضت فيه الباحثة مدى انعكاس العامل النفسي والحالة النفسية للشخصيات التي تراوحت ما بين مشاعر وصراعات كان لها أثرٌ على شخصيات الرواية، أما الانعكاس السياسي فعرضته الكاتبة بعدة صور وهي: المناضل العربي والفلسطيني، والحكومات العربية، و حرب عام ١٩٦٧، وقضية الشعب الأرمني والشعب الفلسطيني، والحرب الطائفية بين العراق وإيران، أما الإنعكاس الإجتماعي عرضته الكاتبة من الواقع و المشاكل الإجتماعية المتمثلة بقضية الفقر والعادات والتقاليد والسحر والشعوذة و التسول والقضايا الأسرية التي كان لها أثرٌ واضحا في الرواية .

[1] الرواية، ص ٣٣.

الخاتمة

خلص البحث إلى نتائج عدة أهمها:

- لقد برزت في الرواية غير صوة للمرأة والرجل فصورة المرأة منها ما كانت إيجابية مثل المرأة المتمردة والمناضلة والعاملة والمتحررة والعاشقة ومنها صور سلبية أوردتها الكاتبة في سياق النقد ومن باب الدعوة إلى تغيير واقع المرأة والنهوض به و من تلك الصور صورة المرأة التقليدية المرأة السيئة التي تقيم علاقات مع الرجال من أجل المال، دعمت الكاتبة في روايتها فكرة المرأة القوية التي توازي الرجل وتكون ندا له في الحياة تشاركه في العمل والقرارات ولا تخضع لسلطته، على عكس الروايات النسوية التي تركز على المرأة المظلومة المضطهدة، وعملت الكاتبة على توظيف الأساطير في رواياتها واستحضرتها في غير موضوع، وقد بالغت في ذلك التوظيف حتى وظفت لكل صورة من صور الرجل المرأة أسطورة ترتبط بها، ومن هذه الأساطير: أرتميس، أفروديتا، أسطورة فليميون وزوجته برسيس، أسطورة آلهة الخصب.

- لقد بدت صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس مختلفة عن صورته في الروايات النسوية ، فالكاتبة بينت الظلم الذي يقع على الرجل في المجتمعات العربية، من ذلك: صورة الرجل اليتيم والرجل المناضل الذي يحمل هم الوطن ويتعرض للظلم في سبيله والرجل الفقير والعامل الذي يكدح في سبيل لقمة العيش، وركزت الكاتبة على صورة الرجل الأسطورة: لقد حضر الرجل الأسطورة بقوة في الرواية وهذا هو الجديد الذي جاءت به الرواية خصوصا في الروايات النسوية ،إذ قدست الرواية الرجل وشبهته بالالهة حين استحضرت في سياق الحديث عنه عدة أساطير تعلي من شأنه وتصور جهده في سبيل عائلته وخدمتها دون كلل أو ملل، من هذه الأساطير: أسطورة هيليوس إله الشمس، وأسطورة زيوس كبير آلهة اليونان، وأسطورة كالاجولا، وأسطورة لوركا، وأسطورة أورفيوس، وأسطورة طائر الفينيق، وفي سياق الحديث عن صور الرجل جعلت الكاتبة الحظ الأوفر فيها للصور الإيجابية، مخالفة بذلك الروايات النسوية التي تحاول دائما إظهار الصورة السلبية وتعميمها، لذلك نجد أن صورة الرجل المناضل والزوج الوفي المخلص تفوقت على صورة الرجل الخائن الشهواني.

- وظفت الكاتبة البعد النفسي في أحداث الرواية، وبينت الانعكاسات النفسية التي ظهرت على الشخصيات من خوف وحزن وفرح وحب وكره وخيبة وخذلان، وتأثرت الكاتبة بالأوضاع السياسية في الوطن العربي خاصة القضية الفلسطينية، لذلك نجد حضورا قويا للمشهد السياسي في الرواية ووجود أكثر من شخصية تمثل المناضل العربي والفلسطيني، ثم نجد البعد الاجتماعي بانعكاساته متجليا في الرواية، إذ تطرقت الكاتبة للحديث عن الفقر وأثره على الشخصيات والمجتمع ، كذلك تحدثت عن اليتم والمتسولين وعالجت الرواية عددا من المظاهر الاجتماعية السيئة التي أشغلت الناس وكانت سببا في كثير من المشاكل الاجتماعية، كان من أهمها: السحر والشعوذة المنتشرة بشكل واسع في المجتمع، إضافة إلى بعض العادات والتقاليد التي تمنع الحب وترى فيه خدشا للحياء.

- بدا تاثير الانعكاسات السياسية والاجتماعية في الرواية واضحا، وهذا ينم عن مدى تأثر الكاتبة بالأوضاع التي يشهدها الوطن العربي من ظلم وفقر وانتهاك لحقوق المواطن، وكذلك تأثرها بالأوضاع السياسية التي تحدث في فلسطين خاصة والوطن العربي عامة.

المصادر والمراجع:

١. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مجلد ١، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر ٢٠٠١م.

٢. ابن منظور: لسان العرب، إيران: أدب الحوزة، المجلد٤، د س .

٣. أبو نضال، نزية: تمرد الأنثى، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤.

٤. إسماعيل، عز الدين: التفسير النفسي للأدب، بيروت، دار العودة، ط٤، ١٩٨٧م.

٥. انقار، محمد: صورة المغرب في الرواية الإسبانية، المغرب: مكتبة الإدريسي ١٩٩٤م.

٦. أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، مصر: مكتبة نهضة ١٩٥٠م.

٧. البطل، علي: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس للطباعة والنشر ١٩٨١م.

٨. البيطار، هدية جمعة: الصورة الشعرية عند خليل حاوي، أبو ظبي: دار الكتب الوطنية ٢٠١٠م.

٩. بيهم، محمد جميل: المرأة في التاريخ والشرائع، بيروت ١٩٢١.

١٠. الجاحظ، أبو عثمان: البيان والتبيين، الجزء الأول، القاهرة: مكتبة الخانجي، دس.

١١. الجرجاني، عبد القادر: أسرار البلاغة، جدة: دار المدني،د س.

١٢. :دلائل الإعجاز، تحقيق محمود أبو فهر، مكتبة الخانجي،دس.

١٣. الجرجاني، علي: كتاب التعريفات، بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٣م.

١٤. الجمحي، محمد بن سلام: طبقات فحول الشعراء، دار المعارف للطباعة والنشر، د س.

١٥. حجازي، مصطفى: التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المغرب: المركز الثقافي العربي٢٠٠٥ م.
١٦. حسين، طه: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٢م.
١٧. حمداوي، جميل: بلاغة الصورة الروائية، المغرب: مطبعة بني ازناسن، د س.
١٨. الخولي، يمنى الطريف: النسوية وفلسفة العلم، مؤسسة هنداوي سي آي سي، ٢٠١٧.
١٩. دروزة، محمد: تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، ج ٥، بيروت: د.ط ١٩٦١م.
٢٠. الديك، إحسان:صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي، باقة الغربية، مجمع القاسمي للغة العربية، ط١، ٢٠١٣.
٢١. : الأسطورة في الفكر الجاهلي وأدبه، باقة الغربية، مجمع القاسمي للغة العربية،ط١، ٢٠١٦م.
٢٢. ذبيان، سامي وآخرون: قاموس المصطلحات السياسية، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، لندن، ١٩٩٠.
٢٣. الرويلي، ميجان وآخرون: دليل الناقد الأدبي، الطبعة الثالثة، بيروت: المركز الثقافي العربي ٢٠٠٢م.
٢٤. زيما، بيير: النقد الاجتماعي، الطبعة الأولى، ترجمة: لطفي، عايدة، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، د س.
٢٥. السبكي، محمد محي الدين عبد الحميد محمد وآخرون، المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة ،٢٠٠٩م.
٢٦. السعداوي، نوال: المرأة والجنس، الإسكندرية: دار مطابع المستقبل ١٩٩٠م.
٢٧. :رواية زينة، بيروت: دار الساقي ٢٠٠٩م.

٢٨. :توأم السلطة والجنس، د س.
٢٩. السواح، فراس: لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، سورية: دار علاء الدين، د س.
٣٠. السيف، خالد بن عبد العزيز: إشكالية المصطلح النسوي دراسة دلالية، المملكة العربية السعودية، الدار العربية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٦م.
٣١. الشربيني،زكريا : مقتطفات من علم النفس في الكوارث والصدمات والأزمات، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠١٨م.
٣٢. الشعلان، سناء: السقوط في الشمس، دار الوراق للنشر والتوزيع، د س.
٣٣. شمس الدين، موسى: تأملات في إبداعات الكاتبة العربية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.
٣٤. الطباع، عمر: فنون الشعر العربي، الطبعة الأولى، بيروت: دار القلم ١٩٩٢م.
٣٥. الطرازي، مبشر: المرأة وحقوقها في الإسلام، بيروت: دار الكتب العلمية، د س.
٣٦. عصار، خير الله: مقدمة لعلم النفس الأدبي، الجزائر، مؤسسة بونه للبحوث والنشر، ط١، ٢٠٠٨.
٣٧. عصفور، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٣، ١٩٩٢م.
٣٨. علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة عرض وتقديم وترجمة. بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٨٥م.
٣٩. الغذامي، عبد الله: المرأة واللغة، بيروت: المركز الثقافي العربي ٢٠٠٦م.
٤٠. الغنيم، إبراهيم: الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد، الشركة العربية للنشر، د س.
٤١. الفاروق، فضيلة: رواية اكتشاف الشهوة، دار الريس للنشر ٢٠٠٥م.

٤٢. فضل، صلاح: مناهج النقد المعاصر، الطبعة الأولى، القاهرة: ميريت للنشر ٢٠٠٢م.
٤٣. الفيروزأبادي، القاموس المحيط، القاهرة، دار الحديث، ٢٠١٣م.
٤٤. قصاب، وليد: مناهج النقد الأدبي، الطبعة الثانية، دمشق: دار الفكر ٢٠٠٧م.
٤٥. القيرواني، ابن رشيد: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الجزء الأول، دار التراث للنشر والتوزيع، د س.
٤٦. كيال باسمة: تطور المرأة عبر التاريخ، دار عزالدين ١٩٨١م.
٤٧. لالاند اندري: موسوعة لالاند الفلسفية مجلد ١، بيروت ٢٠٠٨م.
٤٨. لوكاتش، جورج: دراسات في الواقعية، الطبعة الثالثة، ترجمة: بلوز، نايف، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د س.
٤٩. لينين: دفاتر فلسفية، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة للطباعة والنشر، دس.
٥٠. محفوظ، عبد اللطيف: وظيفة الوصف في الرواية، بيروت: الدار العربية للعلوم ٢٠٠٩م
٥١. مطلوب، أحمد: معجم مصطلحات النقد العربي القديم. مكتبة لبنان ٢٠٠١م.
٥٢. المقدم، أحمد: عودة الحجاب، مصر: دار طيبة للنشر ٢٠٠٦م.
٥٣. مناصرة، حسين: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، بيروت،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٢م.
٥٤. مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والإبداع، الأردن: عالم الكتب الحديث ٢٠٠٨م.
٥٥. موساوي، أحمد: في أدب نجيب الكيلاني أبعاد الصراع وامتداداته، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٩م.
٥٦. الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، المنصورة: مكتبة الإيمان، د س.

٥٧. نصر، عاطف جودة: الرمز الشعري عند الصوفية، بيروت: دار الأندلس١٩٧٨ م.
٥٨. هويدي، صالح: المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات، الطبعة الأولى، سوريا: دار نينوى ٢٠١٥م.
٥٩. وادي، طه: الرواية السياسية، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، د س.
٦٠. وغليسي، يوسف: مناهج النقد الادبي، الطبعة الأولى، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع ٢٠٠٧م.
٦١. اليافي، نعيم: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، سوريا: صفحات للدراسات والنشر ٢٠٠٨.

الدوريات والمجلات

١. الحوماني: الصورة والتصور والتصوير، مجلة الرسالة، عدد ٦٤.
٢. عبد الحليم، محمد: الشخصية الرومانتيكية والحب الرومانتيكي، مجلة الرسالة، العدد ٩٥٨.
٣. كاظم، عبد الله وآخرون: الأنثى تبوح بسيرتها إشكالية البوح وأنماطه في كتابة السيرة الذاتية النسائية، عدد ١، مجلد ١٥، مجلة القادسية ،٢٠١٢م.

رسائل الماجستير

١-حامي، خديجة: سرد النساء العربي بين القضية والتشكيل: روايات فضيلة الفاروق نموذجا، رسالة ماجستير منشورة، الجزائر: جامعة مولود معمري ٢٠١٣م.

٢-عدوان، نمر عدوان: تقنيات النص السردي في أعمال جبرا إبراهيم جبرا الروائية، رسالة ماجستير، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠١م، ص١٣٥.

المواقع الالكترونية:

١. https: //ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%AF%D9%84%D9%8A%D8%A

٢. Tafahom.mara.gov.om

٣. https: //m.ahewar.org/s.asp?aid=483209&r=o

٤. https//m.ahewar.org/s.asp?aid=481075&r=0

٥. Swnsyria.org/?p=3253

٦. SOTOR.COMشرح نظرية الإنعكاس في الأدب

٧. hyatok.comسلامة خلود: مفهوم الذات ، ٢٠١٩ ،

٨. https: //m.ahewar.org/s.asp?aid=616805&r=0

٩. Asstory.blogspot.com/2011/04/normal-o-false-false.html?m=1

١٠. CULTUREANDART<WWW.ALGAZEERA.NTE

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

The dialectic between women and men in The Fall in The Sun Novel

By

Amna Mohammed Abdul Jalil Elewi

Supervisor

Dr. Odwan Nemir Odwan

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language and the Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus- Palestine.

2022

The dialectic between a woman and a man in The Fall in The Sun Novel

The writer: Sanaa Shalan

Prepared by: Amna Mohammed Abdul Jalil Elewi

Supervision by: Dr. Odwan Nemir Odwan

The summary

In this study, the writer addressed the dialectic between a woman and a man in the novel “Fall in the Sun “for the writer Sanaa Shalan, the novel incorporated live images of the reality we live in and highlighted the image of a woman and a man and how the psychological, political and social factors are reflected in them, by describing and analyzing a woman and a man image to show how the writer is distinguished from other writers.

The study started with a preface, three chapters and a conclusion. The writer tried to demonstrate the importance of the study “the dialectic between a woman and a man “and searching the differences between them, indicating the most important questions that the study will answer. Then the writer focused on the concept of dialectic linguistically and idiomatically, and continued with the most important

historical stages of the term dialectic has gone through, and the issues that were discussed under its shadow.

In the first chapter the writer addressed the image of a woman in the novel. Then she clarified what is meant by the image of a woman in literature, and then she focused at image she drew for a woman in the novel “fall in the sun “as an applied example for the study, and she continued with the most important elements that she employed in drawing the picture from internal and external references and intertextuality with its various types. This helps examine that picture and elicit its most important features.

In the second chapter, the writer addressed the image of a man in the novel “Fall in the Sun” and how Sanaa Shalan showed, after the reader understood the meaning behind the term “man’s image in literature” and then she attempted to establish a comparison between both images in the novel. The first is the image of the woman and the second is the image of the man.

In the third chapter, the writer discussed the psychological, political and social representation of a woman and a man in the novel. She also mentioned how the psychological, social, and political factors affect her literature.

After that, the study was appended with a conclusion that summarized the results of the study.